

جامعة سعد دحلب بالبليدة

كلية الآداب و العلوم الاجتماعية

قسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة ماجستير

التخصص: الصوتيات وقضايا المعجمية

ملاحح النظام الصوتي في قراءة نافع رواية ورش نموذجاً

من طرف

نور الدين ين حامد

أمام اللجنة المشكلة من :

رئيساً	أستاذ محاضر، جامعة البليدة	لعبيدي بو عبد الله
مشرفاً ومقرراً	أستاذ التعليم العالي، جامعة البليدة	عمار ساسي
عضواً مناقشاً	أستاذ محاضر، جامعة البليدة	عماد بن عامر
عضواً مناقشاً	أستاذ مكلف بالدروس، جامعة البليدة	محمد زوقاي

ملخص

يعتبر هذا البحث بشكل أو بآخر محاولة جديدة لقراءة الجهود الصوتية في التراث العربي القديم ، وتنطلق هذه الرؤية من مسلمة مفادها أن الصوت لا يكتفي بذاته في تحديد جمالية اللفظ و دلالاته ، و على هذا الأساس جاءت دراستنا للصوت اللغوي من خلال النص القرآني متمثلاً في رواية ورش رحمه الله من طريق الإمام الأورق لقراءة نافع المدني كمحاولة لكشف مختلف العناصر التي انبثقت عنها مختلف القراءات ، ثم جاءت في مستوى آخر كمحاولة لتحديد الملامح للعناصر الصوتية ، و بالتالي فإن البحث الصوتي العربي أصيل عند القوم أصالة العربية نفسها.

لقد كانت بداية الدراسة محاولة كشف الخصوصية الصوتية للنص القرآني ، و قد تركزت الدراسة حول تحديد أهم الملامح الصوتية لرواية ورش عن نافع ، فقد ظهر من خلال وصف بعض الملامح الصوتية في رواية ورش من قراءة نافع في مثل وصف الهمزة (بين بين) والإمالة (بين بين) والإشمام أن القراءة الصحيحة لا تنضبط إلا بالمشافهة و السماع ، وتبينت علة اشتراط القراء السماع في إجازة القارئ.

واتضح أنّ قراءة نافع كانت متأثرة- إلى حدّ كبير- بلهجة قبائل الحجاز في بعض ما تكلموا به، وذلك من خلال تسهيله الهمز وبعض الكلمات الفرشية ، غير أنّ ذلك لم يكن على حساب الرواية، وإنما كان بالتوافق معها.

و التفاضل بين القراءات المتواترة مذهب غير صحيح، لأنّ كلام الله جلّ ذكره على مستوى واحد من الفصاحة والبلاغة والبيان والقوّة والصواب فلا تفاضل فيه.

والقراءات المتواترة لا يجوز رُدّها بحجة مخالفتها لقياس العربية لأنّها سنّة مُتَّبَعَةٌ. كما تبين أن الوقف مرتبط بالوقف ارتباطاً وثيقاً. ومنه ؛ فالقراءات القرآنية مصدر مهمّ في الاستشهاد على المسائل الصوتية وهي الصورة الصادقة التي تعكس اللهجات العربية بأمان.

كلمة شكر

قال صلى الله عليه وسلم: « مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللَّهَ » رواه الترمذي عن أبي هريرة.

يطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في إنجاح هذا العمل سواء بالقول أو بالفعل دعمًا لي على مواصلة هذا الطريق الشاق و الممتع في الوقت نفسه و أخص بالذكر الأستاذ المشرف: الأستاذ الدكتور عمّار ساسي على كل ما أحاطني به من دعم ومؤازرة، ولم ييخل علينا بنصائحه و توجيهاته طوال فترة الإعداد لهذه المذكرة، كما لا أنسى دعم الأخ خالد تومي؛ وجميع طلبة وأساتذة قسم اللغة العربية بجامعة سعد دحلب بالبليدة.

و الشكر موصول كذلك إلى كل أعضاء لجنة المناقشة على تجشمهم عناء قراءة المذكرة، لتقييم هذا العمل و تخليصه مما علق به من خطأ أو سهو أو نسيان.

إلى كل هؤلاء أقول بارك الله فيكم و جزاكم الله عني كل خير.

الفهرس

	ملخص
	شكر
	الفهرس
11	مقدمة
16	1. الصوتيات، بداءتها وتطورها
16	1.1. تمهيد
17	1.2. مفهوم الصوت
17	1.2.1. لغة
17	1.2.2. اصطلاحا
18	1.3. مفهوم الصوتيات
18	1.4. تطور علم الأصوات عند العرب
19	1.5. جهود علماء اللغة في توضيح معالم الدراسة الصوتية
19	1.5.1. الخليل بن أحمد الفراهيدي
21	1.5.2. جهود سيبويه في علم الأصوات
22	1.5.3. دور ابن جني في بلورة معالم علم الأصوات
23	1.6. مصادر الدرس الصوتي العربي
23	1.6.1. كتب علماء العربية
24	1.6.2. كتب علم التجويد
25	1.7. الأصوات العربية
25	1.7.1. الأصوات الرئيسية
27	1.7.2. الأصوات اللينة والساكنة
27	1.7.2.1. الأصوات اللينة
28	1.7.2.1.1. الأصوات اللينة عند القدامى
28	1.7.2.1.2. الأصوات اللينة عند المحدثين
29	1.7.2.2. الأصوات الساكنة
30	1.8. نظرية دانيال جونز
30	1.9. المقطع الصوتي
30	1.9.1. تعريف المقطع
31	1.9.2. أنواع المقاطع
31	1.9.2.1. مقطع مفتوح (Open)
31	1.9.2.2. مقطع مغلق (Closed)
32	1.10. فروع علم الأصوات
33	1.10.1. علم الأصوات النطقي
33	1.10.2. علم الأصوات الفيزيائي
34	1.10.2. علم الأصوات السمعي
35	1.11. الجهاز النطقي البشري
36	1.11.1. الرنتان " Lungs "
36	1.11.2. القصبة الهوائية " Wind pipe " or " Trachea "

36.....	3. 11. 1	" Larynx " الحُنْجُرَة
36.....	4. 11. 1	" Vocal chords "or" Vocal bands" الحبلان الصوتيان
37.....	5. 11. 1	" Epiglottis " لسان المزمار
37.....	6. 11. 1	" Pharynx " الحلق
38.....	1. 6. 11. 1	المنفذ الحنجري
38.....	2. 6. 11. 1	المنفذ الفموي
38.....	3. 6. 11. 1	المنفذ الأنفي
40.....	7. 11. 1	" Palate " الحنك
40 ..	1. 7. 11. 1	"Alveoli "or"Teethridge" "أصول الأسنان العليا" أو "اللثة" أو "مُقدّم الحنك" أو "اللثة"
40.....	2. 7. 11. 1	" Hard palate " أو "الغار" "وسط الحنك" أو "الحنك الصلب"
40.....	3. 7. 11. 1	"Velum" أو "الحنك اللين" "مؤخر الحنك" أو "أقصى الحنك" أو "الطبق" أو "الحنك الرخو"
40	"Soft palate " اللين	
41.....	8. 11. 1	" Uvula " اللّهاة
41.....	9. 11. 1	" Tongue " or " Lingua " اللسان
41.....	1. 9. 11. 1	" Blade " طرف اللسان
41.....	2. 9. 11. 1	" Front Of The Tongue " وسط اللسان أو مقدمه
41.....	3. 9. 11. 1	" Back Of The Tongue " أقصى اللسان أو مؤخره
42.....	4. 9. 11. 1	" Root Of The Tongue " جذر اللسان
42.....	10. 11. 1	" Teeth " الأسنان
42.....	1. 10. 11. 1	الثنايا
42.....	2. 10. 11. 1	الرّباعيات
42.....	3. 10. 11. 1	الأنياب
42.....	4. 10. 11. 1	الأضراس
42.....	1. 4. 10. 11. 1	الضواحك
43.....	2. 4. 10. 11. 1	الطواحن
43.....	3. 4. 10. 11. 1	النواجذ
43.....	11. 11. 1	" Lips " الشفتان
43.....	12. 11. 1	" Cavity " or " Chamber " الجوّف
43.....	1. 12. 11. 1	" The Oral Cavity " جوف الفم
44.....	2. 12. 11. 1	" The Nasal Cavity " جوف الأنف
44.....	12. 1	صفات الحروف
47.....	13. 1	خلاصة
48	2. 2	القراءات القرآنية
48	1. 2	تمهيد
49	2. 2	التعريف بالقراءة القرآنية
49	1. 2. 2	لغة
49	2. 2. 2	اصطلاحا
51	1. 2. 2. 2	تعريف أبي حيان الأندلسي (ت 745هـ)
52	2. 2. 2. 2	تعريف بدر الدين الزركشي (ت 794هـ)
52	3. 2. 2. 2	تعريف ابن الجزري (ت 833هـ)
52	4. 2. 2. 2	تعريف السيوطي (ت 911هـ)
52	5. 2. 2. 2	تعريف شهاب الدين القسطلاني (ت 923هـ)
53	6. 2. 2. 2	تعريف طاش كبرى زادة (ت 962هـ)
53	7. 2. 2. 2	تعريف الزرقاني (ت 1376هـ)

53	2.2.2	8. تعريف عبد الفتاح القاضي (ت 1403هـ).
53	2.2.2	9. تعريف محمد سالم محيسن (ت 2002م).
54	2.2.3	3. خلاصة التعاريف.
54	2.3	3. الفرق بين القرآن والقراءات.
55	2.4	4. ضوابط القراءة الصحيحة.
57	2.5	5. نزول القرآن على سبعة أحرف.
57	2.6	6. بعض الأحاديث الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف.
57	2.6.1	1. الحديث الأول.
57	2.6.2	2. الحديث الثاني.
58	2.6.3	3. الحديث الثالث.
58	2.6.4	4. الحديث الرابع.
58	2.6.5	5. الحديث الخامس.
59	2.6.6	6. الحديث السادس.
59	2.6.7	7. الحديث السابع.
59	2.6.8	8. الحديث الثامن.
59	2.7	7. بيان المراد بالأحرف السبع.
60	2.8	8. أقوال العلماء في بيان المراد بالأحرف السبع.
60	2.8.1	1. القول الأول.
60	2.8.2	2. القول الثاني.
60	2.8.3	3. القول الثالث.
61	2.8.4	4. القول الرابع.
62	2.8.5	5. القول الخامس.
62	2.8.6	6. القول السادس.
62	2.8.7	7. القول السابع.
64	2.8.8	8. القول الثامن.
64	2.8.9	9. القول التاسع.
64	2.8.10	10. القول العاشر.
66	2.9	9. فوائد تعدد القراءات.
68	2.10	10. الفرق بين القراءة والرواية والطريق.
68	2.11	11. مراتب القراءة.
69	2.11.1	1. التحقيق.
69	2.11.2	2. الحدر.
69	2.11.3	3. التدوير.
69	2.12	12. تطور علم القراءات.
72	2.13	13. القراءات مصدر لدراسة اللهجات.
73	2.14	14. التأليف في القراءات.
73	2.14.1	1. المرحلة الأولى مرحلة الجمع.
74	2.14.2	2. المرحلة الثانية مرحلة الانتقاء.
74	2.14.3	3. المرحلة الثالثة مرحلة التحقيق.
75	2.14.3.1	1. القسم الأول مؤلفات خدمت القراءات السبع.
76	2.14.3.2	2. القسم الثاني مؤلفات خدمت القراءات العشر.
77	2.14.3.3	3. القسم الثالث مؤلفات خدمت القراءات الثلاث المتممة للعشرة.
77	2.14.3.4	4. المرحلة الرابعة مرحلة التحريرات.
78	2.14.3.5	5. المرحلة الخامسة مرحلة التدوين.
78	2.14.3.6	6. المرحلة السادسة مرحلة التدوين في القراءات السبع.

79.....	ترجمة لبعض مشاهير القراء من الصحابة	15. 2
79.....	1. أبي بن كعب	15. 2
79.....	2. علي بن أبي طالب	15. 2
79.....	3. عبد الله ابن عباس	15. 2
79.....	4. عبد الله بن مسعود	15. 2
80.....	5. عثمان بن عفان	15. 2
80.....	6. أبو بكر الصديق	15. 2
80.....	7. عمر بن الخطاب	15. 2
81.....	8. عبد الله بن عمر	15. 2
81.....	9. عبد الله بن عمرو بن العاص	15. 2
81.....	10. أبو الدرداء	15. 2
81.....	ترجمة القراء السبعة ورواتهم	16. 2
81.....	1. الإمام نافع	16. 2
81.....	2. الإمام أبو عمرو البصري	16. 2
82.....	1. الدوري	16. 2
82.....	2. السوسي	16. 2
82.....	3. ابن عامر اليحصبي	16. 2
82.....	1. هشام	16. 2
82.....	2. ابن ذكوان	16. 2
82.....	4. الإمام عاصم بن يهدلة أبي النجود الأسدي	16. 2
83.....	1. حفص	16. 2
83.....	2. شعبة	16. 2
83.....	5. حمزة بن حبيب الزيات	16. 2
83.....	1. خلف	16. 2
83.....	2. خلاد	16. 2
83.....	6. الإمام الكسائي	16. 2
84.....	1. الليث	16. 2
84.....	2. الدوري	16. 2
84.....	7. عبد الله بن كثير	16. 2
84.....	1. البزّي	16. 2
84.....	2. قُنبل	16. 2
84.....	ترجمة بعض مشاهير علم القراءات بافريقيّة	17. 2
84.....	1. الإمام أبو عمرو الداني	17. 2
85.....	2. الإمام الشاطبي	17. 2
85.....	3. العلامة ابن بري	17. 2
85.....	18. 2. التعريف بالإمام نافع (رضي الله عنه)	18. 2
85.....	1. اسمه ونسبه	18. 2
85.....	2. كنيته	18. 2
85.....	3. ميلاده	18. 2
85.....	4. شيوخه	18. 2
86.....	5. الرّواة عن نافع	18. 2
87.....	6. صفته	18. 2
87.....	7. فضائله	18. 2
88.....	8. ثناء العلماء عليه	18. 2
89.....	9. اشتغاله بالحديث	18. 2

89.....	2	18	10	وفاته
90.....	2	19	خلاصة	
91.....	3	3	الملاحم الصوتية في رواية ورش	
91.....	3	1	تمهيد	
92.....	3	2	ترجمة الإمام ورش- رحمه الله-	
92.....	3	1	رحلته إلى المدينة	
93.....	3	2	التعلُّق والمحبة	
93.....	3	3	الرسالة الخالدة	
93.....	3	4	تلاميذه	
94.....	3	5	الرحيل المبارك	
94.....	3	3	ترجمة الإمام أبي يعقوب بن الأزرق- رحمه الله-	
94.....	3	1	اسمه ونسبه	
94.....	3	2	شيوخه	
94.....	3	3	الرواة عنه	
95.....	3	3	وفاته	
95.....	3	4	النون الساكنة والتنوين	
95.....	3	1	تعريف النون الساكنة	
95.....	3	2	تعريف التنوين	
95.....	3	3	أحكام النون الساكنة والتنوين	
96.....	3	1	الإظهار	
96.....	3	2	الإدغام	
97.....	3	3	الإقلاب (القلب)	
97.....	3	1	لغة	
97.....	3	2	اصطلاحا	
97.....	3	3	حروفه	
98.....	3	4	الإخفاء	
98.....	3	1	لغة	
98.....	3	2	اصطلاحا	
98.....	3	3	حروفه	
98.....	3	5	أحكام الميم الساكنة عند ورش	
99.....	3	1	تعريف الميم الساكنة	
99.....	3	2	أحكام الميم الساكنة	
99.....	3	1	الإدغام	
99.....	3	2	الإخفاء	
100.....	3	3	الإظهار	
100.....	3	4	تنبيه	
100.....	3	6	النون والميم المشدّتين	
101.....	3	1	مواضع الغنة	
101.....	3	2	مراتب الغنة	
102.....	3	7	إدغام المتمثلين والمتجانسين والمتقاربين	
102.....	3	1	الحرفان المتمثلان	
103.....	3	2	الحرفان المتجانسان	
103.....	3	3	الحرفان المتقاربان	
105.....	3	8	التحليل الصوتي للإدغام	

106.....	9. 3	التفخيم والترقيق.....
107.....	1. 9. 3	الألف اللينة.....
107.....	2. 9. 3	اللام وحكمها.....
108.....	3. 9. 3	الراء.....
109.....	1. 3. 9. 3	الترقيق.....
109.....	1. 1. 3. 9. 3	علة الترقيق والتفخيم عند نافع.....
109.....	2. 1. 3. 9. 3	علة ترقيق الراء.....
110.....	2. 3. 9. 3	التفخيم.....
110.....	3. 3. 9. 3	الوجهان.....
111.....	4. 9. 3	حكم الراء عند الوقف.....
112.....	10. 3	التحليل الصوتي للترقيق والتفخيم.....
113.....	11. 3	ياءات الإضافة وياءات الزيادة.....
113.....	12. 3	الفرق بين الياءات الزوائد وياءات الإضافة.....
114.....	1. 12. 3	ياءات الإضافة.....
116.....	2. 12. 3	الياءات الزوائد.....
119.....	13. 3	خصوصية رسم المصحف وأهميته.....
120.....	14. 3	نظام المدود عند ورش.....
120.....	15. 3	أقسام المدود عند ورش.....
121.....	1. 15. 3	المد الطبيعي.....
121.....	2. 15. 3	مد العوض.....
121.....	3. 15. 3	مد الصلة الصغرى.....
121.....	4. 15. 3	مدُّ الحروف المجموعة في عبارة "حيُّ طهر".....
124.....	16. 3	الفتح والإمالة.....
126.....	17. 3	التحليل الصوتي للإمالة.....
128.....	18. 3	الإمالة عند ورش.....
129.....	19. 3	نظام الهمزات عند ورش.....
130.....	20. 3	الهمز المزدوج في كلمة واحدة.....
132.....	21. 3	الهمز المزدوج بين كلمتين.....
133.....	22. 3	تنبيهات مهمّة.....
134.....	23. 3	ثلاث همزات في كلمة واحدة.....
135.....	24. 3	اجتماع الساكنين.....
135.....	25. 3	الإبدال عند ورش.....
138.....	26. 3	الوقف والابتداء.....
139.....	27. 3	أهمية الوقف والابتداء.....
139.....	1. 27. 3	أسباب الوقف.....
139.....	2. 27. 3	أنواع الوقف.....
140.....	1. 2. 27. 3	بالنظر إلى التعلق اللفظي والمعنوي.....
141.....	2. 2. 27. 3	بالنظر إلى ما يوقف به من سكون أو إبدال ونحوهما.....
141.....	1. 2. 2. 27. 3	الوقف بالسكون.....
141.....	2. 2. 2. 27. 3	الوقف بالبدل.....
141.....	3. 2. 2. 27. 3	الوقف بالحذف.....
141.....	4. 2. 2. 27. 3	الوقف بالروم.....
142.....	5. 2. 2. 27. 3	الوقف بالإشمام.....
143.....	6. 2. 2. 27. 3	التحليل الصوتي لظاهرة الإشمام.....
144.....	3. 2. 27. 3	بالنظر إلى الباعث عليه.....

144.....	وقف اختياري	1. 3. 2. 27. 3
144.....	وقف اختياري	2. 3. 2. 27. 3
144.....	وقف اضطراري	3. 3. 2. 27. 3
144.....	وقف انتظاري	4. 3. 2. 27. 3
145.....	الفرق بين الوقف والقطع والسكت	28. 3
145.....	الابتداء	29. 3
145.....	أقسام الابتداء	30. 3
147.....	خلاصة	31. 3
148.....	خاتمة	
150.....	قائمة المراجع و المصادر	

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي لا يحمد على خير سواه، و أصلي وأسلم على سيدنا محمد مصطفىاه، و خيرة خلقه، و على آله وصحبه و من والاه و استنَّ بسنته و استهدى بهُداه.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، المنزل بواسطة جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بأحرفه السبعة لفظاً و معنىً، المحفوظ في السطور و الصدور، المكتوب في المصاحف برسم يحتمل ما بقي من أحرفه السبعة و قراءاته المتعددة، المتحدي بأقصر سورة منه، العربي المعجز بأسلوبه و أسرارهِ، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المفتتح بسورة الفاتحة و المختتم بسورة الناس.

وإنما أنزل هذا القرآن على محمد- صلى الله عليه و سلم- ليقراه على الناس، و يقرؤوه هم ويرتلونه، مصداقاً لقوله تعالى في سورة المزمّل: (ورتل القرآن ترتيلاً) [المزمّل: 4]، و قوله كذلك في سورة الإسراء: (وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلاً) [الإسراء: 106] .

وإن العرب لما تباينت لهجاتهم و اختلفت لغاتهم نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف مراعيّاً ذلك التباين و الاختلاف، فكان العربي يقرأ بما تيسر له و بما سلس به لسانه من الحروف، فَرُبَّ حرف نطقت به قبيلة و استحال النطق به لدى قبيلة أخرى. و من المتفق عليه أن القواعد اللغوية في الدراسات العربية كان منطلقها صوتياً، و ذلك بهدف توجيه الأداء، و تحسين الإلقاء لتوضيح المعنى، و لم يخرج عمل أبي الأسود الدؤلي و لاحقيه عن هذا المنحى، و كذلك القراء فإنهم على اختلاف مشاربهم و تنوع اتجاهاتهم، كان توجههم هو تحسين الأداء الصوتي للقرآن الكريم.

و اللغة في أصلها أصوات، باتفاق أهلها المتخصصين فيها إذ أن المستوى الأول للدراسات اللغوية كلها هو المستوى الصوتي فإذا كان الأمر كذلك فإن هذا المستوى يستوجب الاهتمام به و الالتفاف حوله للانطلاق منه، حتى يكون ما يبني عليه تفعيد اللغة، ثم كانت القراءة و كان القراء في الإسلام، و كل هؤلاء وأولئك انشغلوا بالصوت و اللحن معاً، و اشتغلوا به قبل أن يتفنونوا في التلحين.

فكرة البحث وسبب اختيار الموضوع:

جاءت فكرة هذا البحث منذ أن سجلت في دراسات ما بعد التدرج بقسم اللغة العربية. ولما كان التخصص الذي انتميت إليه هو الصوتيات و المعجمية، فإنني وجدت نفسي مدفوعاً لاختيار موضوع يجمع بين القراءات القرآنية والدراسات الصوتية. ذلك أنني أردت الجمع بين تخصصين كنت قد درستهما من قبل أولهما الدراسات الإسلامية حيث حصلت على شهادة الليسانس فيها من جامعة الجزائر. ثم الدراسات اللغوية والأدبية و التي تحصلت فيها كذلك على شهادة الليسانس بعد أن زاولت الدراسة بجامعة سعد دحلب بالبلدية فأدرت أن أجمع بين التخصصين، و أقرن الدراسة اللغوية بشيء من الدراسة القرآنية متمثلة في علم القراءات و اخترت لذلك موضوعاً عرضته على الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور عمار ساسي بحكم تخصصه في مجال الصوتيات، و بحكم تجربته على رأس مخبر الصوتيات العربية بجامعة سعد دحلب رحب بالفكرة و وضح لي معالم خطة البحث فجاء عنوان الرسالة: « ملامح النظام الصوتي في قراءة نافع- رحمه الله- رواية ورش نموذجاً ». و الإمام نافع- رحمه الله- أحد أعلام القراءة في مدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم. و اخترت رواية ورش أنموذجاً لهذه الدراسة- و لم يكن هذا الاختيار من فراغ- لأن رواية ورش هي الرواية الأكثر شهرة في بلاد المغرب العربي و شمال إفريقيا، بل إنها كانت ولا تزال القراءة المعتمدة في مساجد كثير من بلاد المغرب العربي، حالها حال المذهب المالكي الذي كان العمدة في الفتوى في هذه البلاد.

ونجد الدكتور مكي درار يقرر في كتابه المجمل ما مؤداه أن: « المصحف هو الأثر الوحيد المكتوب كتابة صوتية، في التراث العربي على الأقل، و إن اختلاف القراء في قراءته، لا يزيده إلا حرصاً و دقة في الأداء. و إذا تصفحنا رسم المصحف الشريف بالخط المغاربي؛ على رواية عثمان بن سعيد الملقب بورش، لقراءة نافع بن عبد الرحمن فإننا نجد فيه رموزاً كثيرة معبرة عن تلوينات صوتية، أغلبها في الصوائت القصيرة » [01]، ص 102.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية هذا الموضوع تبعاً لأهمية مستوى الدراسة، فالمستوى الصوتي أدق المستويات اللغوية بل هو أساسها ومنطلقها، إضافة إلى أن هذه الدراسة تعنى بكتاب الله العزيز الذي جاء كتاباً معجزاً، بل هو معجزة محمد صلى الله عليه و سلم الكبرى. فأهمية الموضوع من أهمية مادته، ألا و هي كتاب الله تعالى، و الواضح أنَّ أَجَلَ العلوم على الإطلاق ما تعلق منها بكتاب الله تعالى، مصداقاً لقول الرسول- صلى الله عليه و سلم:- (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)، و لا شك أن التعرف على مظاهر إعجاز القرآن الكريم في شتى صورته هي وسيلة لتعلم و تعليم كتاب الله.

ولعلي أخص أهمية الموضوع من خلال النقاط التالية:

1- يعتبر علم الأصوات واحداً من أرسخ علوم العربية، حيث أن في آثار العرب القدماء صور واضحة و آثار مشرقة في الدراسات الصوتية.

2- تعلق الدراسة بكتاب الله تعالى.

3- إن القراءات القرآنية ديوان حافل باللهاجات العربية التي هي أصل أصيل تنبني عليه كل دراسة صوتية عربية.

4- إن ملامح النظام الصوتي في القراءات القرآنية قد يجيب على أسئلة كثيرة، عن أسباب تعدد القراءات و اللهجات العربية، وهذا من شأنه أن يلقي الضوء على كثير من المباحث التي ما زالت تحتاج إلى زيادة توضيح وتدقيق.

الإشكالية:

انطلقت في هذا البحث من إشكالية واضحة المعالم تتأسس على فكرة مفادها أن القراءات القرآنية قائمة على أنظمة صوتية تتميز من خلالها كل قراءة عن القراءة الأخرى، وهذه الأنظمة تطبعها مجموعة من السمات عبّرت عنها بالملامح التي إنما وجدت نتيجة لعوامل بيئية و جغرافية تبعا لطبيعة العرب و منظومتهم القبلية التي كانت تسعى من خلالها كل قبيلة التميز عن غيرها من القبائل إن في العادات و الطقوس و المعاملات.

وطرحت لذلك سؤالا يكون بمثابة نقطة البداية في هذا البحث و هو السؤال التالي:

« ما هي ملامح النظام الصوتي في قراءة الإمام نافع- رحمه الله- ؟ »

وهذا السؤال الرئيس جرنني إلى طرح سؤالين فرعيين يسهمان في تفهم حدود الإشكالية هما:

« ما الذي تفرقت به قراءة الإمام نافع عن غيرها من القراءات القرآنية الأخرى ؟ و ما الذي يميز

رواية ورش صوتياً عن الروايات الأخرى ؟ »

المنهج المتبع:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، هذا المنهج الذي ناسب موضوع الدراسة من خلال وصف قراءة الإمام نافع المدني مع التركيز على أهم الملاح و الظواهر اللغوية فيها و محاولة تحليلها وفق ما جاء في الدراسات الصوتية و علم الأصوات.

خطة البحث:

ومن خلال عنوان البحث و الإشكالية المطروحة فإنني اقترحت للإجابة عن هذه الأسئلة خطة منهجية منقسمة إلى ثلاثة فصول و خاتمة.

بناء على هذه الرؤية المنهجية كان هيكل البحث مكونا من مقدمة و تمهيد حول المقاربة البنوية و ثلاثة فصول و خاتمة.

تناولت في الفصل الأول « الصوتيات بداءتها و تطورها » و يتضمن العناصر التالية: تمهيد. ثم بينت مفهوم الصوت و الصوتيات. و تطور علم الأصوات عند العرب. و مدارس الدرس الصوتي العربي. وفروع علم الأصوات. و خلاصة.

أما الفصل الثاني فقد خصصته للقراءات القرآنية، و قد تضمن تمهيدا ثم التعريف بالقراءات القرآنية، وانتقلت بعد ذلك إلى بيان الفرق بين القرآن و القراءات، و ضوابط القراءة الصحيحة، ثم انتقلت إلى بيان تطور علم القراءات و التأليف فيها، ثم ترجمت لبعض مشاهير القراء، و ترجمة ضافية لنافع رحمه الله ثم خلاصة للفصل.

وفي الفصل الثالث تناولت الملامح الصوتية في رواية ورش و الذي بدأته بتمهيد ثم ترجمة وافية للإمام ورش رحمه الله تعالى و أعقبته بترجمة للإمام أبي يعقوب بن الأزرق رحمه الله، انتقلت بعدها إلى بيان الملامح الصوتية للقراءة والتي تمثلت في النون الساكنة و التنوين، ثم الميم الساكنة، والنون و الميم المشددين، ثم انتقلت إلى إدغام المتماثلين، و التفخيم و الترقيق وأحوالهما، و ياءات الإضافة و الزوائد، و المدود و أنظمتها عند ورش، و الفتح و الإمالة، و نظام الهمزات عند ورش، ثم انتقلت إلى بيان الوقف و الابتداء، و خلاصة للفصل.

وختمت بحثي بحوصلة لأهم ما توصلت إليه من ملاحظات استوقفتني أثناء التحليل لمختلف عناصر البحث، و قد شفعت ذلك بقائمة المصادر و المراجع ، الى جانب فهرس المحتويات.

وأخيرا فإنني بهذا العمل لا أدعي أنني أنجزت ما لم ينجزه غيري، أو أنني قدمت ما عجز عنه آخرون، و لكن حسبي أنني اجتهدت و حاولت طرق هذا الموضوع مع علمي المسبق بصعوبته و لعل الظروف التي لازمتني خلال مدة إنجاز البحث زادت من صعوبته، قلة المراجع أحيانا و صعوبة الوصول إليها أحيانا أخرى، و بُعِدُ المسافة عنها كان له الأثر الكبير في عدم الوصول إلى المبتغى، و مع ذلك كله فقد بذلت جهدي و وسعي في تحقيق ما حققت، و لعل اجتهادي يشفع لي، إذ أن كل مجتهد له أجر جزاء اجتهاده و محاولته.

وإنني أقدم هذا العمل أمام أساتذتي الكرام أعضاء لجنة المناقشة ليصححوا ما فيه من خطأ و يُقَوِّمُوا ما
بَدَرَ فيه من زَلَلٍ، و أنا لهم من الشكرين على تجشمهم عناء قراءة فصوله و محتوياته.

و الله من وراء القصد و هو يهدي السبيل.

الفصل 1

الصوتيات بداءتها وتطورها:

1.1 تمهيد:

يشكل الصوت الانساني مادة اللغة الأولى في الدراسة اللغوية، لأن كل جماعة لغوية تعتمد منهجاً محدداً أو مميزاً في صوغ كلامها من الأصوات، ينتجها "الجهاز النطقي" الإنساني ثم تصوغ من الكلمات الجمل والتراكيب بغية التعبير بها عن حاجاتها المادية والمعنوية التي لا حصر لها.

وإن صوغ الكلمات و الجمل و التراكيب يتم وفق عبقرية كل أمة، وفق خصائصها و سننها، ويكون ذلك ببلورة الفكرة في ذهن المتكلم أولاً وفي ذهن السامع أو المتلقي ثانياً في الوقت نفسه.

والعلاقة اللغوية هي كل مركب من الدال (الصوت) والمدلول الذي هو تمثل ذهني أو تصور لفكرة أو معنى. فالأصوات لا تمثل لغة إلا إذا كان لها محتوى دلالي، و هذه الأصوات ينضم بعضها إلى بعض على هيئة مخصوصة فتشكل "الكلمات" التي يقوم بدراستها "علم الصرف"، ثم تدخل هذه الكلمات في تراكيب خاصة فتكوّن "الجمل" التي هي موضوع "علم النحو" وهذا يعني أن علم الأصوات هو أساس علم اللغة وهو ما ذكره الأستاذ "فيرث" حين أشار الى اعتماد المستويات اللغوية المختلفة على دراسة الأصوات فيقول: «لا يمكن أن تتم دراسة جادة لعلم المعنى الوصفي (Sementies discriptive) لأية لغة منطوقة ما لم تعتمد هذه الدراسة على قواعد صوتية وأنماط تنغيمية موثوق بها» [02] ص184.

وعليه؛ فإننا من خلال هذا الفصل سنتعرض لتعريف الصوت من خلال المفهومين اللغوي و الاصطلاحي، ثم نستعرض أهم المراحل التي أسست لظهور علم الأصوات وأهم التقسيمات التي وضعها العلماء، ثم نستعرض بعد ذلك جهود العلماء العرب محاولين بذلك الإشارة الى البصمة التي وضعوها و أثروا بها المعرفة الانسانية في هذا المجال دون أن ننسى الإشارة إلى أهم الأعلام الذين ساهموا في رسوخ هذا العلم عند العرب و مواضع الاتفاق و الاختلاف عندهم، حتى يتسنى لنا بعد ذلك التعرف على أهم المصطلحات العلمية التي يقوم عليها علم الأصوات.

1.1. مفهوم الصوت:

1.1.1. لغة:

الصوت لغة: الجرس، والجمع: أصوات.

قال ابن السكيت: الصوت؛ صوت الانسان و غيره، و الصائت: الصائح: و رجل صيَّت. أي: شديد الصوت [03] مج5 ص162. وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات، و رجل صائت: حسن الصوت شديده [04] مج4 ص56.

و الصوت لغة أيضا:

كما نجده عند صاحب مختار الصحاح إذ يقول في مادة (ص و ت): صات الشيء من باب قال، و(صَوَّتَ) أيضا(تصويئًا) و(الصائت) الصائح. و رجل(صيَّت) بتشديد الياء وكسرها و(صائتُ) أيضا أي شديد الصوت. و(الصيَّيت) بالكسر الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس دون القبيح، يقال: ذهب صيئته في الناس. و ربما قالوا انتشر(صوته) في الناس بمعنى صيئته. [05] ص 180.

1.1.2. اصطلاحا:

يقول ابن جني في تعريفه للصوت: « عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق و الفمّ و الشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده و استطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، و تختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها » [06] ج3 ص16. و معنى هذا أن الصوت عند ابن جني ليس حدثاً و إنما هو عرض لحدث، إذ الحدث هو النفس القائمة عليه حياة الإنسان، فالنفس أصلاً و الصوت تبعا و عرضا [07] ص 51.

وعليه فإن كلاً من الصوت والحرف هما على الجانب الملفوظ والمنطوق من الكلام، فالحرف هو انحراف وانقطاع الامتداد واستطالة الصوت وكأنه بهذا هو طرف الصوت الذي هو عرض يخرج مع النفس مستطيلاً ممتداً، فيكون بذلك الحرف عند ابن جني هو صوت ممتد، غير أن هذا الكلام قد وجد من يعارضه عند غيره من العلماء، حيث رأى بعضهم أن الصوت هو الحرف.

وذهب ابن يعيش النحوي مذهب ابن جني وابن سينا في بيانه مدلول الحرف عندما قال: « الحرف هو صوت مقروع في مخرج معلوم ». [08] ج10 ص124.

ومن هنا وجب التمييز بين الصوت والحرف واعتبار الحرف مقطوعاً للصوت، لا الصوت ذاته.

ويعرفه الشريف الجرجاني بأنه: «كيفية قائمة بالهواء يحملها إلى الصّماخ» [09] ص 62. ولذلك فهو مدرك بحاسة السمع. [10] ص 88. عن طريق تلك الذبذبات الناتجة عن التموج المتسبب عن القرع أو القلع. [11] ص 33.

والصوت اللغوي ذو جانبيين، أحدهما عضوي والآخر صوتي، ويتصل الأول بعملية النطق، والثاني بصفته، فإذا تناولنا الدراسة اللغوية للأصوات من حيث كونها أحداثاً منطوقاً لها تأثير سمعي، وركزت على المادة الصوتية بوصفها ضوضاء فإن هذا مجال الصوتيات وإذا كان التركيز على وظائف الصوت في اللغة كان مجال علم وظائف الأصوات. [04] ج 1 ص 102.

3.1. مفهوم الصوتيات:

الصوتيات علم يدرس الأصوات البشرية بمعزل عن الوظائف اللغوية التي تؤديها هذه الأصوات [12] ص 11. وتعتبر الدراسة الصوتية من أجل العلوم عند العرب، لأنها تتصل اتصالاً مباشراً بتلاوة القرآن الكريم، وفهم كلماته وتراكيبه وأسلوبه ومعانيه وما يتضمن من أحكام دينية ودينية.

وقد سبق العرب أمم الأرض في دراسة لغتهم دراسة صوتية وصفية أدهشت علماء الغرب والشرق، فأقروا بأنه لم يسبق العرب، زمنياً، سوى الهنود القدماء الذين درسوا لغتهم (السنسكريتية)، لغة كتابهم المقدس (فيدا)، ووصفوها وصفاً صوتياً دقيقاً جداً... وسطح اسم علامتهم الشهير "بانيني" الذي شبّه سيبويه به فيما بعد. [13] ص 6.

4.1. تطور علم الأصوات عند العرب:

لقد سبق و أن ذكرنا أن للعرب السابق في دراسة الأصوات أو دراسة اللغة دراسة صوتية من الناحية الزمنية، و إنه لم يسبقهم إلى ذلك سوى الهنود القدماء عندما قاموا بدراسة لغتهم القديمة (السنسكريتية) في محاولة منهم لخدمة كتابهم المقدس (فيدا)، فقاموا بوصف هذه اللغة وصفاً صوتياً دقيقاً فنالوا بذلك قدم السابق على العرب وسائر الأمم التي عنت بالدراسة الصوتية من بعدهم.

فقد بدأت الدراسة الصوتية عند العرب وصفية، تعتمد على الملاحظة الذاتية مضافة إلى فطنة الدارس وثقافته والتزامه وأمانته العلمية.

ولعل الإرهاصات الأولى لهذه الدراسة إنما بدأت بصنيع "أبي الأسود الدؤلي" المتوفى سنة 69 هجرية، عندما اعتمد تلك الرؤية البصرية المرتكزة على وصف كلمات القرآن الكريم وصفاً صوتياً، مع

ما أخذه عن إمام النُّحاة واللغويين " علي بن أبي طالب" فكان ذلك بداية عهد جديد تم فيه التأسيس للدرس اللغوي العربي كله.

ثم جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي، المتوفى سنة 175 هجرية، فدرس في مقدمة معجمه " العين " الصوت اللغوي مفرداً، معزولاً، ومجرداً عن سياقه، مما سمح له بترتيب معجمه مستنداً إلى الصوت المعزول المجرد، ومبتدأ من الحلق منتهياً بالشفنتين، وهذا ما جعله يدرس أعضاء النطق، ويصنف الأصوات إلى صحيحة وصانته، ثم درس تصنيف الصوامت أو الحروف الصالح كما سماها حسب مخرج الصوت، وصفات النطق والجهر والهمس.

وجاء بعده سيبويه، والمبرد، والزمخشري، وابن دريد، و علماء التجويد و القراءات القرآنية كابن الجزري، وعلماء إعجاز القرآن و علماء البلاغة كالرمامي، و ابن سنان الخفاجي وأبي بكر الباقلائي، و علماء النقد كالجاحظ، فساهموا في دراسة الصوت اللغوي، و وافقوا الخليل أو عارضوه معارضة جزئية، ثم جاء فارس علم الأصوات [13] ص 28. ابن جني المتوفى سنة 392 هجرية، فقدم أدق المساهمات و أوفرها نصيباً من الناحية العلمية بعد الخليل. و لا ننسى أن نذكر بجهود الشيخ الرئيس الفيلسوف ابن سينا المتوفى سنة 428 هجرية، الذي سد ثغرة كبيرة في الدرس الصوتي عند العرب، و قدم وصفاً دقيقاً لأسباب حدوث الحروف، و مخارجها، و يعد أول من شرح الحنجرة و عرف دورها مستفيداً من معرفته بعلم الطب و جراحة الأعضاء.

وفي معرض الحديث عن هؤلاء العلماء و دورهم في بروز أهم ملامح الدراسة الصوتية العربية، أرى من الواجب أن أتعرض لهذه الجهود بشيء من البسط الذي يبين بصمة كل واحد من هؤلاء.

1.5. جهود علماء اللغة في توضيح معالم الدراسة الصوتية:

ولما كان عدد هؤلاء كثيراً فإننا سنتوقف عند بعضهم بشيء من التفصيل مع الاقتصار على الإشارة إلى البعض الآخر حتى لا نخرج عن مسار البحث الذي بين أيدينا فان الكتب المصنفة في ذلك تغني القارئ الباحث عن كل تفصيل.

1.5.1. الخليل بن أحمد الفراهيدي:

لقد كان معاصرو الخليل بن أحمد الفراهيدي يجمعون الكلمات الصعبة المعاني في نظرهم في كتيبات، أو رسائل يشرحونها، وقد عرف هذا اللون من المفردات باسم (الغريب)، فأراد أن ينهج منهجاً جديداً في هذا الميدان، منهجاً يستوحيه من فكره الرياضي المنطقي، وذلك بضبط اللغة وحصرها على أساس الأصوات التي تتكون منها الأصول اللغوية، فوضع نصب عينيه تحقيق فكرتين:

الأولى: معالجة جميع مفردات اللغة وشرحها.

و الثانية: وضع ذلك في نظام يؤمن معه التكرار، أو فوات المواد.

و لقد خطا الخليل لتحقيق هذا الهدف خطوات علمية مدروسة بدأها بترتيب الحروف، ثم بتقسيم الأبنية، و أخيراً بتقليب اللفظة على أوجهها.

يقول الليث: «كنت أصير إلى الخليل بن أحمد، فقال لي يوماً: لو أن إنساناً قصد وألف حروف ألف وباء وتاء وثاء، على ما أمثله لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب، فتهياً له أصل لا يخرج عنه شيء منه بنة، قال: فقلت له: وكيف يكون ذلك، قال: يؤلفه على الثنائي، والثلاثي، والرباعي، والخماسي، وإنه ليس يعرف العرب كلاماً أكثر منه، قال الليث: فجعلت أستفهمه ويصف لي ولا أف على ما يصف، فاختلفت إليه في هذا المعنى أياماً، ثم اعتل وحجبت فما زلت مشفقاً عليه، وخشيت أن يموت في علة فيبطل ما كان يشرحه لي فرجعت من الحج، وصرت إليه فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما في صدر هذا الكتاب» [04] ج1 ص52.

حين أقبل الخليل بن أحمد على الحروف لم يرتض ترتيبها الأبجدي القديم، ولم يقنعه ترتيبها الهجائي المعروف « فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول: أ، ب، ت، ث، وهو الألف لأن الألف حرف معتل، فلما فاتته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني وهو الباء، إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاتها فصير أولها بالابتداء ادخل حرف منها إلى الحلق» [04] ج1 ص47.

ومعنى هذا أن الخليل بن أحمد نظر إلى الحروف على أنها أصوات تخرج من جهاز النطق، فعمد إلى ترتيبها على أساس مخرجها من هذا الجهاز، فبدأ بأصوات الحلق وجعلها أقساماً، ثم أصوات أقصى الفم، ثم أوسط الفم، ثم أدنى الفم ثم الشفتين فجاء ترتيبه للأصوات اللغوية في العربية على النحو الآتي: [04] ج1 ص53-65.

ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ث / ر ل ن / ف ب م / واي- الهمزة.

وكان الخليل بن أحمد قد ذاق الحروف واحداً واحداً، ليتعرف مخرجها، يقول عنه تلميذه الليث بن المظفر: ((وإنما كان ذواقه إياها إنّه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو:

أ ب / أ ت / أ ح / أ غ / أ ع / فوجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب ثم أقرب منها الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخرها وهو الميم. وهذا معناه تجربة النطق بالصوت ساكناً، لئلا

يختلط بغيره، ويلتبس على الناطق معرفة كيفية صدوره ومخرجه الدقيق، وهذه الطريقة تقرب ما يدعو إليه المحدثون من علماء الأصوات.

وهكذا فقد قسم الخليل بن أحمد الحروف وفق مجموعات هي:

المجموعة الأولى: تبتدي بالعين (ع ح هـ خ غ) وقد سمي الخليل بن أحمد هذه المجموعة حلقية، لأن مبدأها الحلق.

المجموعة الثانية: التي تبتدي بالقاف (ق ك): لهويّة، لأن مبدأها من اللهاة.

المجموعة الثالثة: التي تبتدي بالجيم (ج ش ض): شجرية، لأن مبدأها شجر الفم، أي مفرج الفم.

المجموعة الرابعة: التي تبتدي بالصاد (ص س ز): أسليّة، لأن مبدأها من أسلة اللسان.

المجموعة الخامسة: التي تبتدي بالطاء (ط د ق): نطعية، لان مبدأها من نطع الغار الأعلى.

المجموعة السادسة: التي تبتدي بالظاء (ظ ذ ث): لثويّة، لان مبدأها من اللثة.

المجموعة السابعة: التي تبتدي بالراء (ر ل ن): ذلقية، لان مبدأها من ذلق اللسان.

المجموعة الثامنة: التي تبتدي بالفاء (ف ب م): شفوية، لان مبدأها من الشفة.

والمجموعة التاسعة والأخيرة: وهي حروف العلة والهمزة (واي- الهمزة): هوائية، لأنها لا ينغلق بها شيء، وهي بمجموعها في العربية تسعة وعشرون حرفاً، منها خمسة وعشرون وجهاً صحاحاً لها أحياء ومخارج وأربعة هوائية)) [04] ج 1 ص 65.

وبهذه الخطة المحكمة تم ابتكار الأبجدية الصوتية المبنية بحسب المخارج الصوتية للحروف الهجائية.

1.5.2. جهود سيبويه في علم الأصوات:

نهج سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (148هـ/ 180هـ) نهج الفراهيدي في الصوتيات، ومرد ذلك إلى تأثره بجهود هذا الأستاذ المبدع المبتكر، وواقفه على ابتكاراته، فرأى أعضاء النطق كما رآها الخليل، فتدرج بها تدرجه، بدءاً من أقصى الحلق وانتهاءً بالشفيتين، إلا أن هذه الموافقة وذلك التأثر لم

يمنعه من مخالفته بعض المخالفة التي ظهرت في ترتيبها الحروف، إذ بدأ سيبويه بالهمزة والألف والهاء، وقدم الغين على الخاء، وأخر القاف عن الكاف، وبناء ترتيبه الصوتي على النحو الآتي:

همزة، ألف، هـ/ ع، ح، غ، خ/ ك، ق/ ض، ج، ش/ ي، ل، ر/ ن، ط، د/ ز، س، ظ/ ذ، ث، ف/ ب، م، و[14] ج 2 ص 405.

إن هذا الاختلاف في ترتيبها إنما هو اختلاف في وجهتي نظرهما ليس إلا وذلك بسبب أستاذية الخليل وتلمذة سيبويه، وتأثير الأستاذ واضح فيما بسطه التلميذ من آراء في كتابه "الكتاب"، إذ انعكست امتداداً حيويًا لمنهجية الخليل، ولكن هذا لا يحول بين التلميذ واجتهاده، كما لا يمنعه من الخروج عن أصول الأستاذ.

وإن كان كتاب سيبويه- حاوي علم الخليل- قد تضمن في طياته دراسات صوتية أوفت على الغاية دقة وأهمية، وتنوعت مادتها، فكان منها ما يتعلق باللهجات والمقايسة بينهما والاستدلال بها، ومنها ما يعرض للقراءات، ومنها ما يتحدث عن ظواهر صوتية مختلفة كأحكام الهمز.

1. 5. 3. دور ابن جنّي في بلورة معالم علم الأصوات:

لا يحتاج أبو الفتح بن جنّي إلى أكثر من أن يقال قال ابن جنّي وينطبق عليه قول الشاعر:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب

ولد ابن جنّي في الموصل حوالي 320 هجري [15] ص 9. وفيها نشأ في عصر ظهر فيه عدد من النوابع في الفنون والآداب والعلوم، وساهمت فيه الثقافة العربية الإسلامية في الحضارة الإنسانية، وقد وهب الله تعالى أبا الفتح ابن جنّي حظاً عظيماً من الحذق والذكاء والبراعة والاستقصاء والاستنباط والجدل والرغبة في التحصيل والعلم، ودفعه طموحه إلى أن يتصدر للتدريس مبكراً لَمَّا أحس في نفسه الملكة والقدرة على التدريس، وجلس ابن جنّي في جامع الموصل يدرّس الصّرْف فمر به سنة 337هـ، العالم الكبير الحسن بن أحمد بن الغفار أبو علي الفارسي (377هـ) إمام النحو في زمانه، فوجده يشرح مسألة صرفية، هي قلب الواو ألفا في قام يقوم. وقال يقول، وناقشه أبو علي فيها فوجده مقصراً في الجواب. فقال له أبو علي: زببت قبل أن تُحصِر [16] ص 245.

فكانت هذه الحادثة سبب اتصال ابن جنّي بشيخه أبي علي الفارسي فطُلق الدنيا ولزم أبا علي، في حلّه وترحاله، فكان مقامه منه مقام سيبويه (180هـ) من شيخه الخليل (175هـ)، وكما كان سيبويه حاذقاً وأميناً فيما نقل عن الخليل فقد كان ابن جنّي صادقاً وأميناً فيما نقل عن شيخه أبي علي الفارسي.

استعمل ابن جنّي مصطلح علم الأصوات لأول مرة في كتابه سر صناعة الإعراب، وتناوله بالدراسة في كتابه الخصائص كذلك [17] ص208.

كما تناول في كتابه الخصائص نشأة اللغات والأصوات العربية وعلاقة معاني الكلام بأصواتها وأهم ما جاء في كتابه الخصائص:

- 1- انطلق ابن جنّي من منطلق وصف البنية اللغوية، فعمد إلى دراسة الأصوات التي تتألف الكلمات منها وسعى إلى اكتشاف القوانين التي تنظم العلاقة بين الأصوات في الكلمة فبحث في الاشتقاق وأنواعه ودرس التقلبات الممكنة وأفضى ذلك به إلى القول بوجود علاقة مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول.
- 2- بحث ابن جنّي في القوانين الصوتية العامة التي ترجع إلى الخصائص الفيزيولوجية للإنسان وعبر عنها بحس المتكلم.

أما في كتابه سر صناعة الإعراب، فقد خصّ مقدمته للتعريف بالصوت وعلم الأصوات، ثم خصّ لكل حرف باباً من أبواب الكتاب.

وقد شبه الجهاز الصوتي مرة بالناي أثناء النفخ فيه، ومرة بالعود [06] ج1 ص21، يقول: (ونظير ذلك أيضاً العود فإنّ الضارب إذا ضربه وهو مُرسل سمعت له صوتاً، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتاً آخر، فإن أدناها قليلاً سمعت غير الاثنين ثم كذلك كلما أدنى إصبعه من أول الوتر تشكّلت لك أصداً مختلفة) [06] ج1 ص22.

1.6. مصادر الدرس الصوتي العربي:

حظيت أصوات العربية بعناية الكثير من العلماء والباحثين، منذ عصر تدوين علوم العربية في القرن الثاني الهجري حتى عصرنا هذا، فقد تناولها بالبحث علماء العربية من نحاة ولغويين، كما تناولها علماء قراءة القرآن، وجعلوا من دراسة أصوات العربية وظواهرها في قراءة القرآن علماً مستقلاً سُمّي علم التجويد، وكانت حصيلة هذا البحث عشرات الكتب والمؤلفات التي أغنت المكتبة الصوتية العربية.

وهذه إشارة إلى أهم تلك الكتب والبحوث كما ذكرها الدكتور غانم قدوري الحمد: [18] ص10.

1.6.1. كتب علماء العربية:

- مقدمة معجم العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170 هـ).

- باب الإدغام من كتاب سيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان ت 180هـ)، ومواضع أخرى من الكتاب.

- أبواب الإدغام من كتاب المقتضب للمبرد (أبي العباس محمد بن يزيد ت 285هـ).

- باب الإدغام من كتاب الأصول لابن السراج (أبي بكر محمد بن السري، ت 316هـ).

- كتاب سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ) وفي كتابه (الخصائص) عدة أبواب عن الحركات وحروف المد.

- باب الإدغام من كتاب المفصل في علم العربية للزمخشري (أبي القاسم محمود بن عمر جار الله ت 538هـ)، وشروحه، مثل شرح ابن يعيش (يعيش بن علي ت 643هـ)، وشرح ابن الحاجب (أبي عمرو عثمان بن عمر ت 646هـ).

- باب الإدغام من الشافية في الصرف لابن الحاجب (ت 646هـ) وشروحها مثل شرح الأسترابادي (رضي الدين محمد بن الحسن) (ت 686هـ).

- هناك عدد من كتب علماء العربية تضمن فصلاً أو باباً صغيراً عن مخارج حروف العربية وصفاتها وما يتعلق بإدغامها، منها كتاب الجمل للزجاجي (أبي القاسم عبد الرحمان بن إسحاق) (ت 340هـ)، وكتاب الواضح في علم العربية للزبيدي (أبي بكر محمد بن الحسن) (ت 379هـ) وكتاب المقرب لابن عصفور (علي بن مؤمن ت 669هـ) وكتاب ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي (محمد بن يوسف ت 745هـ)، وكتاب همع الهوامع للسيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) (ت 911هـ).

1.6.2. كتب علم التجويد:

استقلت المباحث الصوتية المتعلقة بقراءة القرآن الكريم بكتب خاصة بها منذ القرن الرابع الهجري، بعد أن كانت مختلطة بكتب علماء العربية وكتب القراءات القرآنية، وصارت تعرف بعلم التجويد.

وكثر المؤلفات في هذا العلم بعد القرن الرابع، ولم ينقطع التأليف فيه إلى زماننا، ومؤلفاته تتنوع طولاً وقصراً، نظماً ونثراً، وهي مصدر غني وأصيل للدراسات الصوتية العربية، ولا غنى لدارس أصوات العربية عنها، ومن أشهرها:

- الرعاية لتجويد القراءة، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت 437 هـ).
 - التحديد في الإتيان والتجويد لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444 هـ).
 - الموضّح في التجويد، لعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهّاب القرطبي (ت 569 هـ).
 - التجريد في التجويد، لسهل بن محمد الحاجي (ت 543 هـ).
 - التمهيد من معرفة التجويد، لأبي العلاء الحسن بن أحمد القطار الهمذاني (ت 569 هـ).
 - التمهيد في علم التجويد لابن الجزري (ت 833 هـ).
- ولعلنا نكتفي بهذا القدر حتى لا يخرج بنا ذلك عن غاية هذا البحث.

7.1. الأصوات العربية:

يقسم علماء العربية الأصوات العربية إلى أصول وفروع.

1.7.1. الأصوات الرئيسية:

فالأصول (الأصوات الرئيسية) [19] ص51. سموها حروف المعجم، وقد حددها بتسعة وعشرين صوتاً، وهذه القسمة ترجع إلى ما أورده سيبويه في الكتاب حين قال: « فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً، فأولها الألف وآخرها الياء على المشهور من ترتيب حروف المعجم.... » [14] ج ص404.

وهذا الذي ذكره سيبويه صار أساساً استند عليه معظم علماء العربية. قال ابن جني: « اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفاً، فأولها الألف وآخرها الياء على المشهور من تعريف حروف المعجم » [06] ج ص46.

ويرى بعض العلماء أنها ثمانية وعشرون صوتاً، فالمبرد يقول: « اعلم أن الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفاً، منها ثمانية وعشرون لها صور » [20] ج ص192.

وهذا ما قصده الفراء بقوله: « إنك تقول: أ، ب، ت، ث، ثمانية وعشرون حرفاً فتكتفي بأربعة أحرف من ثمانية وعشرين، فأولها الألف وآخرها الياء » [21] ج ص268.

وعرف علماء العربية إلى جانب الأصوات الأصول (الأصوات الرئيسية) ستة أصوات (فروع) أصلها من التسعة والعشرين يكثر ورودها في الكلام، ويؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار [19] ص 52، وهي:

- 1- النون الخفيفة.
- 2- الهمزة التي بين بين.
- 3- الألف التي تمال إمالة شديدة.
- 4- الشين التي كالجيم.
- 5- الصاد التي كالزاي.
- 6- وألف التفجيم.

فتكون بذلك خمسة وثلاثين حرفاً.

كما عرفوا أصواتاً أخرى غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر [14] ج 4 ص 432. وهي:

- 1- الكاف التي بين الجيم والكاف.
- 2- الجيم التي كالكاف.
- 3- الجيم التي كالشين.
- 4- الضاد الضعيفة.
- 5- الصاد التي كالسين.
- 6- الطاء التي كالتاء.
- 7- الظاء التي كالتاء.
- 8- والباء التي كالفاء.

« وهذه الحروف التي أتممتها اثنين وأربعين جيدها وردئها أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة » [14] ج 4 ص 431-432.

1.7. الأَصوات اللينة والساكنة:

قسم المحدثون الأصوات اللغوية إلى قسمين رئيسيين:

1- الأصوات اللينة. 2- الأصوات الساكنة.

1.7.1. الأصوات اللينة:

ويسمى بعضها بعض الدارسين (الصائتة) (Vowels) [11] ص 26. أو المدّ أو الصلّة. وهي كالأتي: ثلاثة منها قصار وهي ما تعرف بالحركات: (الفتحة والكسرة والضمة)، وثلاثة منها طوال وهي ما تعرف بأصوات المد كالألف في (قال)، والواو في (يدعو)، والياء في (القاضي)، وتسمى بالعلل، وأصوات اللين أو الأصوات الطليقة.

وقد أدت الصوائت « مهمة جلييلة في اللغة العربية حيث تعتبر أساساً لقوة السماع في هذه اللغة الراسخة القدم في تاريخ المشافهة ... وهذه الخاصية كانت طابع العلم العربي حيث تواتر بواسطة الرواية حتى عصر التدوين » [22] ص 114-115.

وقد حدد ابن جني العلاقة بين حروف المدّ والحركات، فقال في كتابه " سر صناعة الأعراب ": « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسر الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة...، ويدل ذلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هو بعضه... فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما نشأت عنها، ولا كانت تابعة لها. فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الحروف أنها توابع للحركات، ومنتشئة عنها، وأن الحركات أوائل لها وأجزاء منها، وأن الألف فتحة مشبعة والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة » [06] ج 1 ص 19-

1.7.1. الأصوات اللينة عند القدامى:

نظر القدامى إلى الألف، والياء، والواو نظرات خاصة ترتب عليها اختلاف تسميتهم لها، فهي حرف علة إن قابلت حرفاً أصلياً، لا فرق بين أن تكون ما حركة أو ساكنة، أما إن سكنت مع عدم مجانسة الحركة السابقة عليها لها، فهي حرف لين، كـ(يبع) و(قول) وإن سكنت مع مجانسة الحركة السابقة عليها لها فهي حرف مدّ [06] ج 1 ص 27.

ولما كانت الألف لا تقع إلا بعد الفتحة، وهي الحركة المجانسة وإلا غيرت إلى حرف آخر: « واو إن سبقت بضم، وياء إن سبقت بكسر »، كانت دائماً حرف مد، والواو تكون حرف مدّ إن سكنت وسبقت بضم، كـ(سور)، (نُور). والياء إن سكنت وسبقت بكسر، كقوله تعالى: (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) سبأ: 54، تلك وجهة الأقدمين، وذلك ضابطهم لتلك الحروف [23] ص 27.

1.7.1. الأصوات اللينة عند المحدثين:

أما المحدثون فقد نظروا إلى هذه الحروف نظرة خاصة فأطلقوا عليها اسم أصوات اللين [11] ص 29. وإذا انطلقت مع الهواء الخارج من الرئتين دون عائق يحول دون انطلاقها إلى خارج الشفتين [24] ص 165.

وذلك الضابط ينطبق انطباقاً تاماً على ما سماه الأقدمون حروف المد، لأن سكون هذه الحركة مع مجانسة الحركة السابقة عليها يجعلها تنطلق مع هواء الرئتين دون حائل يعترض خروجها. ونظراً لوضوحها السمعي أطلق عليها اسم الحروف الواضحة [11] ص 26-27. لأنها تُسمع بوضوح تام، نظراً لانطلاقها مع الهواء دون اعتراض، وهذا الضابط ينطبق أيضاً على الحركات التي هي أبعاض حروف المد، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً في قول ابن جني، وهي الفتحة التي تعد بعض الألف والضمّة التي ينظر إليها على أنها بعض الواو، والكسرة التي تحسب على أنها بعض الياء [23] ص 32.

ولما كانت الحركات مع وضوحها السمعي تستغرق في نطقها نصف حروف المد الأصلية، أطلق المحدثون عليها: حروف اللين القصيرة. فالفتحة صوت لين قصير، والكسرة صوت لين قصير والضمّة صوت لين قصير.

ومما يعرفه علماء الأصوات في الوقت الحاضر أن الفرق بين الحركات القصيرة والطويلة في اللغة هو فرق في الكمية لا في الكيفية، بمعنى أن وضع اللسان في كليهما واحد، ولكن الزمن يقصر ويطول في كل صوت، فإذا قصر كان الصوت قصيراً، وإذا طال كان الصوت طويلاً، والذي يحدد الطول والقصر هاهنا هو العرف عند أصحاب اللغة [24] ص 165.

يقول كانتينيوي في المدى الذي يستغرقه طول الحركة: « يطلق اسم الحركات الطويلة على الحركات التي يمتد فيها إخراج النَّفس امتداداً يصير معه مدى النُّطق بها مساوياً لمدى النُّطق بحركتين بسيطتين وقد يتعدى ذلك » [25] ص 145.

ولم يهتم علماء العربية القدامى بهذه الأصوات للتعرف عليها، وللنظر في أحكامها. لأن الاتصال باللغات الأجنبية لم يكن تاماً حتى تبدو لهم تلك الأهمية، ولما درست الأصوات في مدارسها الحديثة وكانت تضم لغات مختلفة، وجدوا أنّ الحاجة ماسة للتعرف على تلك الأمور التالية: [02] ص 137.

1- إنّ الفرق بين أصوات اللين كبير جداً ولا تكاد تشترك لغة من اللغات مع أخرى في كيفية النطق بأصوات اللين، فالألّف وهو حرف (A) يختلف نطقه بين الإنجليزية والفرنسية، والمنتبع للهجات اللغة الواحدة يبدو له وجود فروق في أصوات اللين عندها، مع تفرعها من أصل واحد.

2- إنّ أصوات اللين شائعة في الكلام، فيترتب على ذلك وضوح الخطأ عند عدم التعرف على النُّطق الصحيح لها.

3- إنّ أصوات اللين واضحة تمام الوضوح وهذا الوضوح يبرز الخطأ فيها، ويبعد التكلم عن النُّطق الصحيح.

فلهذا ظهرت عناية المحدثين بتلك الأصوات، واهتموا بوضع ضوابط ومقاييس يستطيع الدارس العودة إليها لتجنبه الخطأ بها، وليس معنى هذا أنه لا توجد فروق في نطق الأصوات الساكنة. إن الخلاف موجود وقائم، ولكن الوضوح فيها غير قوي، مما يجسم الخطأ ويبروه، ولذلك لم تكن عناية المحدثين موجهة إليهم، كتوجيههم إلى حروف اللين [11] ص 30.

1.7.2. الأصوات الساكنة:

ويسمى بعضها بعض المحدثين بـ (الصامتة) أو المصوتة (Consonants) أو الصاح، أو الحروف، أو الأصوات الحسبية.

وعدد الأصوات الصامتة ثمانية وعشرون صوتاً، وأساس هذا التقسيم عند المحدثين هو الطبيعة الصوتية لكل من القسمين (الأصوات الصائتة والصامتة) والمتمثل في نسبة وضوح الصوت في السمع. [11] ص 26.

فقد لاحظ العلماء أن الصوائت أكثر وضوحاً في السمع من الصوامت، وهناك من الصوامت ما له نسبة وضوح في السمع تقرب من الصوائت، مثل صوتي الميم والنون، لأن الهواء معهما - رغم أنه يجد

اعتراضاً في تجويف الفم- ينفذ من التجويف الأنفي الذي يعمل عمل المدوّي فيكتسبان بذلك خاصّة الوضوح السمعي.[11] ص 27. التي تقربها من الصوائت، وهذا مما دعا بعض المحدثين إلى تسمية كل من صوتي الميم والنون (شبه علة).[22] ص 100. أي: شبه صائت ووجه الشبه هنا صوتي، وهو قوة الوضوح السمعي لكل من الميم والنون.

1. 8. نظرية دانيال جونز:

وتعد محاولة اللغوي الإنجليزي دانيال جونز D.Jones الأستاذ في جامعة لندن سنة 1914م من تلك المحاولات الهادفة لوضع تلك الضوابط، أو المقاييس، أو المعايير للحركات التي سميت بـ(النظام المعياري للحركات) أو(الحركات المعيارية) بحيث تكون هذه الحركات المقترحة معياراً يقاس عليه ما شابهها من حركات في اللغات المختلفة، وساعده في ذلك طبيب خاص، باستخدام الأشعة السينية لمعرفة أقصى ارتفاع مقدّمة اللسان أو مؤخرته، وكذلك أدنى انخفاض له في الفم عند النطق بهذه الحركات، فتوصّل إلى وجود ثماني حركات، لها صفات صوتية واضحة محددة بصورة دقيقة، ترسم بطريقة الكتابة الصوتية الدولية، تقرأ من اليسار.[22] ص 125- 131. وسجلها في أسطوانات هي الآن في متناول كل من يبغى تعلمها، وقد ارتضاها علماء الأصوات في العالم مقياساً لأصوات اللين.[26] ص 91.

1. 9. المقطع الصوتي:

إنّ دراسة الناحية الصوتية تتطلب الوقوف على الوحدة الصوتية البسيطة ليتسنى منها التعرف على الطريقة التي ركبت منها الكلمات والتفعيلات العروضية، ولذلك كان للمقطع أهمية كبيرة من الناحية الصوتية، ومن النواحي الأخرى.

« ولا ريب أنّ جهاز النطق صالح لإنتاج عديد من الوحدات الصوتية التي ينضم بعضها إلى بعض لتؤلف الكلمات ثمّ الجمل، وهذا التأليف قائم على الفتح والغلق الكلي، أو الجزئي الذي يجري داخل هذا الجهاز في تتابع مستمر في أثناء العملية الكلامية، وهذا قائم على أساس النطق المقسم للكلمة والكلام إلى إيقاعات صوتية معينة تجعل للكلمة والكلام أجزاءً يعرف كل منها بالمقطع » [27] ص 136.

1. 9. 1. تعريف المقطع الصوتي:

المقطع في أبسط أشكاله وصوره هو عبارة عن تتابع الفونيمات في لغة ما، حيث تتكون البنية المقطعية التي تختلف من لغة إلى لغة أخرى، ومع ذلك فعلماء الأصوات يختلفون في نظرتهم إلى المقطع، وبالتالي يختلفون في تعريفه ومفهومه.[28] ص 46.

وجاء في تعريف المقطع مايلي:

- هو « الدفعة الهوائية التي تضم وحدة صوتية بسيطة لا يمكن تجزئتها إلى أقل منها لبساطتها». [23] ص 27.

- و « هو أصغر وحدة صوتية يمكن النطق بها ويستطيع المتكلم أن ينتقل منها إلى غيرها من أجزاء الكلمة ». [27] ص 136.

1. 9. 2. أنواع المقاطع:

تنقسم المقاطع بالنظر إلى ما تنتهي به من الأصوات اللينة أو الساكنة إلى أقسام:

1. 9. 2. 1. مقطع مفتوح (Open):

وهو الذي يفتح الفم حال النطق به، لأنه ينتهي بصوت لين قصير، وهي الحركات، أو صوت لين طويل، وهي (العلل) مثاله: (با) في (باع) مقطع مفتوح، لأن الفم يفتح حال النطق به إذ إن الهواء ينطلق من الرئتين إلى خارج الشفتين دون حائل يعترض سبيله. [11] ص 160.

وفي اللغة الفرنسية (روبو) repu، ومعناها شبعان، فمقطعها مفتوحان. [25] ص 191.

وكذلك الفعل الثلاثي (كَتَبَ) يتكون من ثلاثة مقاطع متحركة، فنلاحظ أن الهواء المصاحب لها من الرئتين ينطلق إلى خارج الشفتين دون أن يحول خروجها حائل مع انفتاح الشفتين. والأصوات المكونة منها هذا اللون مع مقاطع على صورتين:

1- صوت ساكن+ صوت لين طويل، مثل: با، قو.

2- صوت ساكن+ صوت لين قصير، مثل: مقاطع (كَتَبَ) الثلاثة.

1. 9. 2. 2. مقطع مغلق (Closed):

وهو الذي يُغلق الفم حال النطق به، لأنه ينتهي بصوت ساكن، مثل: (فت) من كلمة (فَتَحَ) الذي يتكون من صوتين ساكنين بينهما صوت لين قصير.

صوت ساكن (الفاء) + صوت لين قصير (الفتحة) + صوت ساكن (التاء).

الثالث: مقطع مفتوح مغلق: وهو الذي يبدأ بفتح الفم وينتهي بغلقه، وهذا يتحقق عند سكون آخر الكلمة، ولذلك يزداد هذا الصنف باطراد في الكلمات العبرية نظراً لسكون آخرها.

ويرد في الكلمات العربية في صور هي [23] ص 28:

الأولى: أن تكون الكلمة موقوفاً عليها، وقبل الحرف الموقوف عليه لين طويل. مثل: الرحيم، نستعين.

الثانية: أن يقع بعد حرف اللين، مدغم في مثله. مثل: الحائقة، الصاخة، الصافات.

الثالثة: أن يتألف المقطع من ساكن بعده لين قصير بعده ساكنان والكلمة موقوف عليها مثل: قر، من المستقر، وكذلك قر من المقر. [24] ص 177.

و من تتبع تأليف الكلمات العربية، يبدو للباحث أنها ترد على خمسة صور منها ثلاثة كثيرة الشيوع في التأليف وهي [23] ص 28-29:

1- صوت ساكن+ صوت لين قصير، كمقاطع كتب، فهم.

2- صوت ساكن+ صوت لين طويل، كالمقطع الأول: (قا) في (قال).

3- صوت ساكن+ صوت لين قصير+ صوت ساكن (فت، حن).

4- صوت ساكن+ صوت لين قصير+ صوت ساكن كالمقطع الأخير في الرحيم (حيم) نستعين (عين)، حال الوقف عليهما.

5- صوت ساكن+ صوت لين قصير+ صوتان ساكنان. ويتحقق هذا حال الوقف على كلمة منتهية بحرف مشددة كالمستقر في قوله تعالى: (إلى ربك المستقر) القيامة: 12.

10.1. فروع علم الأصوات:

اللغة أصوات منطوقة تصدرها آلة النطق لدى الإنسان، وتنتقل من فهم الناطق إلى أذن السامع عبر الهواء، وقد تطورت دراسة الأصوات في عصرنا وشملت مراحل إنتاج الصوت، وانتقاله وتلقيه، وتخصص لدراسة كل مرحلة من مراحل الثلاث هذه فرع من فروع علم الأصوات، وتفاوتت أهميتها لدراس الأصوات اللغوية تبعاً لنوع الدراسة التي يقوم بها، وتبعاً لتخصصه العلمي وسعة اطلاعه.

1.10.1. علم الأصوات النطقي:

وهو الذي يهتم بدراسة حركات أعضاء النطق من أجل إنتاج أصوات الكلام، وتحديد مخارج الأصوات وبيان الصفات الصوتية التي تشكل الصوت. [22] ص 77.

و هذا الفرع من فروع الدراسة الصوتية أقدم فروع علم الأصوات و أرسخها قدما وأكثرها حظا في الانتشار في البيئات اللغوية كلها.

و يرجع السر في ذلك إلى وظيفة هذا الفرع و إلى طبيعة الميدان المخصص له، فهو يدرس نشاط المتكلم بالنظر في أعضاء النطق، و ما يعرض لها من حركات، فيعين هذه الأعضاء و يحدد وظائفها و دور كل منها في عملية النطق، منتهيا بذلك إلى تحليل عملية إصدار الأصوات من جانب المتكلم.

و هذا النوع من الدراسة سهل المنال للملاحظة الذاتية. فالممارسة الشخصية بطريق ذوق الأصوات و نطقها مرة بعد أخرى، وتحديد نقاط النطق، و تعيين حركات أعضاء النطق، كلها أمور في متناول يد الدارس، و ليست في حاجة إلى عناء كبير أو تدريب شاق، و معظم الأعضاء التي تشترك في إصدار الأصوات تخضع لنظر العين المجردة أو يمكن ملاحظتها بمساعدة آلات بسيطة، و من ثم كانت الدراسات الصوتية في العصور القديمة مبنية في أساسها على هذا النوع من الدرس، بوصفه الوسيلة المتاحة التي يمكن الاعتماد عليها في وقت لم تكن فيه الوسائل الآلية قد عُرفت. وكان الدرس الصوتي العربي القديم مثالا ممتازا لهذا المنهج في دراسة الأصوات.

1.10.2. علم الأصوات الفيزيائي:

ووظيفته دراسة التركيب الطبيعي للأصوات، فهو يحلل الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء بوصفها ناتجة عن ذبذبات ذرات الهواء في الجهاز النطقي المصاحبة لحركات أعضاء هذا الجهاز. ومعنى هذا أن وظيفته مقصورة على تلك المرحلة الواقعة بين فم المتكلم وأذن السامع. [29] ص 44.

وفيزياء الصوت والموجات موضوع كتبت فيه كتب مستقلة يدرسها المتخصصون بعلم الفيزياء، ويُعنى بها المشتغلون بوسائل الاتصال، ومعظم مباحثها لا تهم المشتغل بدراسة أصوات اللغة، لكن بعضا من تلك المباحث يمكن أن يستفيد منها دارس أصوات اللغة، وقد تفاوت الإهتمام بهذا الجانب في الكتب المؤلفة في علم الأصوات اللغوية، فمن الكتب ما أهمل الإشارة إليه، ومنها ما توسع فيه، لكن هناك صعوبة تعترض اللغوي في تناوله، لأنه كما يقول فندريس: « لا يمكن الاقتراب منه دون تحضير رياضي متين ». [29] ص 44.

1.10.3. علم الأصوات السمعي:

لا تتحقق للصوت الذي تنتجه أعضاء آلة النطق آلة فعلية إلا بعد أن تستقبله أذن السامع، كما أن وظيفة اللّغة- التي هي أصوات منطوقة- لا تتم إلا إذا كان الكلام يحصل بين شخصين أو أكثر. فعملية سماع الأصوات جزء أساسي في أداء اللّغة لوظيفتها، لكن آلة السمع يرتبط عملها بعمل آلة النطق أو مصدر التصويت. وكان علماء اللّغة يعنون بدراسة إنتاج الأصوات في آلة النطق دون الاهتمام بآثرها في السمع.

وزدادت عناية الباحثين في العصر الحديث بالجانب السمعي للأصوات اللّغوية، وأدت بحوثهم في هذا الجانب إلى نشأة علم الأصوات السمعي الذي كان أحدث فروع علم الأصوات، وهو ذو جانبين: جانب عضوي (أو فزيولوجي)، وجانب نفسي (أو عقلي).

أما الأول فوظيفته دراسة الذبذبات الصوتية، وهو بهذا يقع في مجال علم وظائف أعضاء السمع، وأما الثاني فهو يهتم بدراسة كيفية انتقال تأثير الأصوات من الأذن الداخلية إلى عقل الإنسان وإدراك دلالتها المعنوية، وهو أقرب إلى مباحث علم النفس. [30] ص 14.

وحسب الدكتور عبد المقصود محمد عبد المقصود فإن الدرس الصوتي فرعان، إذ يقول: «ينفرع الدرس الصوتي الحديث إلى فرعين هما: الفونيتكس (Phonetics) والفونولوجي (Phonology)، وكثير من اللسانيين العرب لا يفرقون ولا يميزون في أعمالهم التطبيقية بين الفرعين مع أنهم يميزون في بحوثهم النظرية، والملاحظ أنهم عند التطبيق يقفون عند الجانب الفونيتيكي فقط، يدلك على ما أقول أنّ الأبحاث في الفونولوجي في العربية شبه معدومة. ولعل مرد ذلك إلى الخلاف الواسع بين علماء اللسانيات الحديثة حول المصطلحين ومدلولهما». [31] ص 9.

ثم نجده يحاول توضيح منشأ الخلاف بين هذه المصطلحات فيقرر ما يلي:

1- استعمل مونغان فرديناند دي سوسير (M. F. Desaussure) المصطلح الأول (Phonetics) للدلالة على ذلك الفرع من العلم التاريخي الذي يحلل الأصوات و التغيرات عبر السنين، و عدّه جزءاً أساسياً من اللسانيات؛ في حين حدّد الفرع الثاني أو المصطلح الثاني (Phonology) بدراسة العملية الميكانيكية للنطق، و عدّه من أجل ذلك علماً مساعداً للسانيات.

2- استعملت مدرسة براغ الـ (Phonology) في عكس ما استعمله فيه دي سوسير؛ إذ تريد به ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الطواهر الصوتية من ناحية وظائفها اللغوية، لذلك فهو عند أفرادها فرع من فروع اللسانيات. أما الـ (Phonetics) فقد أخرج معظم رجالها من اللسانيات واعتبروه

علماء خالصاً من علوم الطبيعة يساعد اللسانيات، ومن المسلم به أنّ هذه المدرسة هي التي دعت إلى الفصل الجاد بين الفونولوجي والفونيتكس.

3- استعملت المدرستان الأمريكية والإنجليزية المصطلح الثاني لعشرات السنين في معنى (تاريخ الأصوات) ودراسة التغيرات التي تحدث في أصوات اللغة نتيجة تطورها، أي أنه مرادف عندهم لما يعرف بـ: (Historical Phonetics) أو (Diacronic Phonetics) أما المصطلح الآخر (Phonetics) فقد استعمل عندهم في معنى العلم الذي يدرس الأصوات الكلامية ويصنفها ويحللها من غير إشارة إلى تطورها التاريخي، وإنما فقط بالإشارة إلى كيفية إنتاجها وانتقالها. وعليه فالفرعان عندهم من صميم اللسانيات وإن دخل أولهما تحت فرع اللسانيات التاريخية ودخل الثاني تحت فرع اللسانيات الوصفية.

4- ظهر تيار من علماء الأصوات رفض الفصل بين الفرعين أو العلمين- لأن أبحاث كل منهما تعتمد على الآخر- ووضعها تحت مصطلح واحد من المصطلحين، الفونولوجي عند فئة منهم والفونيتيك عند أخرى.

5- ظهر في الغرب مصطلحان جديان (Phonematics) و (Phonemics) نتيجة الخلط والاضطراب واللبس في المصطلحين القديمين. [31] ص 9- 10.

6- اتفق معظم علماء اللسانيات في هذه الأونة على تخصيص الفونولوجي للدراسة التي تصف وتصنّف النظام الصوتي للغة معينة وعلى تخصيص الفونيتيكس لدراسة أصوات الكلام مستقلة عن تقابلات نماذجها وعن تجمعاتها في لغة معينة ودون النظر في وظائفها اللغوية، بل حتى دون معرفة اللغة التي تنتهي إليها. [13] ص 28.

1.11. الجهاز النطقي البشري :

أنعم الله على الإنسان بنعم كثيرة لا يمكن إحصاؤها: منها ما سخرها لخدمته، ومنها ما جعلها في نفسه كنعمة اللغة وسيلته إلى الفهم والإفهام، وسبحان الله العلي العظيم حين جعل مصدر هذه النعمة إحدى نفايات الإنسان؛ فالصوت الإنساني هواءٌ زفيرٌ " Expiration " يمرُّ عبر مجموعةٍ من أعضاء جسم الإنسان تبدأ بالرتنين وتنتهي بالشفنتين؛ ليتشكل بقدرة الله سبحانه وتعالى أصواتاً وكلماتٍ وكلاماً.

أطلق علماء الأصوات واللغة على هذه الأعضاء التي تشترك في عملية إنتاج الصوت أو الكلام اسم " الجهاز النطقي " أو " الجهاز الصوتي " " Vocal apparatus " or " Speech organs " ، وهي:

1.11.1. الرئتان " Lungs " :

وهي مصدر الهواء اللازم لإنتاج الصوت، وبغيرها لا يكون الكلام بل لا تكون حياة الإنسان.

1.11.2. القصبة الهوائية: " Wind pipe " or " Trachea "

وتُسمى أيضاً " قصبة الرئة"، وأطلق عليها العرب القدماء اسم " الحُقُوم"، وهي ممرٌ يصل الرئة بالحنجرة، وتتكون من حَلَقَاتٍ غضروفيةٍ ناقصةٍ الاستدارة تجعلها بمثابة غرفةٍ رنينٍ تؤثر في درجة الصوت.

1.11.3. الحنجرة: " Larynx "

وهي بفتح الحاء والجيم والراء وسكون النون، وذكرت العرب أيضاً فيها " الحُنْجور " وجمعه حَنَجْر، وقيل: الحنجرة رأس العَصَمَة، وقيل: جوف الحلقوم. [03] ج 3 ص 355، وتقع مباشرةً في أعلى القصبة الهوائية، وأسفل الحلق، وهي حجرةٌ ذات اتساعٍ تتكون من غضاريف، وفيها تفاحة آدم Adams " Apple " هذا الجزء البارز في الرقبة، وهو في الرَّجُل أكثر منه بروزاً في المرأة، إذ لا يكاد يُرى فيها.

1.11.4. الحبلان الصوتيان " Vocal chords " or " Vocal bands "

ويُطلق عليهما أيضاً: " الوتران الصوتيان " و " الشفتان الصوتيتان " و " الطيتان الصوتيتان "، وهما اثنان ليس غير، أما الحديث عنهما بصيغة الجمع في كتب الأصوات واللغة فلعل مرجعه إلى الترجمة، حيث عدم وجود صيغة التثنية في اللغة الإنجليزية التي غَلَبَت الترجمة منها إلى العربية في العصر الحديث.

يوجد الحبلان في الحنجرة، وهما يلتقيان معاً من الأمام عند تفاحة آدم، ومن الخلف يُربط كلُّ منهما بأحد الغضروفين الهَرَمِيِّين، إذ هما بمثابة وَتَدَيْنِ منفصلين قادرين على الحركة؛ الأمر الذي يُمكنهما من الحركة واتخاذهما أوضاعاً مختلفةً تسمح لهما بالتقارب أو التباعد؛ الأمر الذي يؤثر في كمية الزفير المحصور بينهما ويترك أثره في عملية هززة الحبلين أساس عملية التصويت.

وعلى هذا يمكن القول بأهمية الحنجرة في عملية إصدار الصوت، فهي فضلاً عن أثرها الفعّال في إبراز الصوت تَلْتَقِفُ الزفير الوارد من الرئتين عبر القصبة الهوائية؛ لتؤثر به من خلال غضاريفها على حركة الحبلين اللذين لاهتزازهما تبدأ عملية تشكيل الصوت الإنساني؛ وعلى هذا فإنَّ نَعَطْلَ عملهما في الإنسان يعني تعطلُّ لُغته.

على أن الذي نود اللفت إليه في هذا المقام هو أن القول بإصدار الصوت لا يعني تحديده، فهناك أعضاء أخرى تقوم بعملية التمييز بين أصوات لغة الإنسان، حيث تتشكل فيها ملامح الصوت اللغوي التي تميزه عن غيره.

1. 11. 5. لسان المزمار " Epiglottis "

هناك فرقٌ بين " المزمار " و " لسان المزمار "؛ فالمزمار " Glottis " هو هذه الفرجة التي بين الحبلين الصوتيين، أو إن شئت فقل: هو الفراغ المثلث المحصور بينهما، ويُسمى أيضاً بـ " فراغ الحنجرة ".

أما " لسان المزمار " ويُسمى أحياناً " طَبَق رأس القصبة " أو " الغُصْمَة "؛ فهو غضروفٌ مطاطيٌّ مثلث الشكل يُشبه ورقة الشجرة، يقع في أعلى غضاريف الحنجرة فوق " المزمار "؛ ليكون بمثابة حاجزٍ أو صمامٍ أمانٍ وظيفته حماية طريق التنفس في أثناء عملية بلع الطعام، حيث يسدُّ فتحة المزمار حين مرور الطعام.

وإذا كان نفرٌ من اللغويين قد قصر عمل " لسان المزمار " على هذه الوظيفة الفسيولوجية كالدكتور إبراهيم أنيس [11] ص 11 والدكتور محمود السعران [32] ص 175؛ والدكتور كمال بشر [30] ص 135. والدكتور رمضان عبد التواب [33] ص 26 فإن هناك من يُثبت له وظيفة في عملية إنتاج بعض الأصوات كالدكتور عبد الرحمن أيوب الذي يذكر أنه يؤثر: « على نوع الحركات، فهو يُجذب إلى الخلف عند النطق بالفتحة الموجودة في كلمة (طالب)، والضمة الموجودة في كلمة (صورة)، ويُجذب إلى الأمام عند النطق بالحركتين الموجودتين في الكلمتين (مين) و (فين) المصرية». [34] ص 50.

ويذكر الأستاذ محمد الأنطاكي أن لسان المزمار يتدخل: « في عملية التصويت، ولا سيما أصوات الحلق كالعين مثلا ». [35] ص 12، وكذلك الأمر عند الدكتور سعد مصلوح الذي يذكر أنه: « يسهم في تكييف الرنين بما يحدثه من تغييرٍ في حجم فراغ الحنجرة، أما أهميته بالنسبة للتصويت أو الجهر فما تزال - كما يذكر - موضع النظر ». [36] ص 109.

1. 11. 6. الحلق " Pharynx "

وهو العنصر المعروف عند كثير من المحدثين بـ " البلعوم " أيضاً، وهو عبارة عن قناة عضليةٍ مثبتة في الخلف بفقرات العنق في العمود الفقري، وتمتد من أعلى الحنجرة مباشرةً لتتفرع في أعلاها إلى فرعين أو منفذين يتصل أحدهما بالفم، والآخر بالأنف؛ لذا فإن الحلق أو البلعوم يشكل عضواً مشتركاً لمرور الغذاء والهواء في الجهازين الهضمي والتنفسي.

يقوم البلعوم من خلال منفذه إلى الفم بعملية بلع الطعام، ونقله إلى المريء الذي يقوم بتوصيله إلى بقية أعضاء الجهاز الهضمي Digestive System لتتولى عملية هضمه وتصريفه.

أما دوره في الجهاز التنفسي Respiratory System - وهو الذي يهمننا أمره في هذا المقام- فيتمثل في عملية نقل الهواء المتجه من الحنجرة إلى الفم أو الأنف أو العكس؛ حيث يقوم بدور فعال في عمليتي " الشهيق Inspiration " و " الزفير Expiration ": يرسل الهواء الشهيق إلى الحنجرة ليمر من خلالها عبر القصبة الهوائية ليصل إلى الرئتين مركز تجمعه، كما يستقبله زفيراً منها ليرسله إلى الفم أو الأنف.

وإذا كان الحلق أو البلعوم ممراً مشتركاً للهواء والطعام فإنّ هناك عضوين فاعلين يساعده في أداء هاتين الوظيفتين دون الإخلال بنتيجة أيّ منهما، وهما: اللهاة ولسان المزمار، سنتحدث عنهما فيما بعد.

هذا و يقسم العلماء البلعوم باعتبار منافذه السابقة إلى ثلاثة أقسام:

1. 11. 6. 1. المنفذ الحنجري:

ويسمونه " البلعوم الحنجري " أو " الحلق الحنجري " " Laryngopharynx " أو " البلعوم السفلي " Hypopharynx "، ويتمثل في جزء البلعوم السفلي المتصل بأعلى الحنجرة مباشرة.

1. 11. 6. 2. المنفذ الفموي:

ويسمونه " البلعوم الفموي " أو " الحلق الفموي " " Oropharynx "، أو " البلعوم الأوسط " Mesopharynx "، ويشكل وسط البلعوم، ويقع خلف تجويف الفم مباشرة.

1. 11. 6. 3. المنفذ الأنفي:

ويسمونه " البلعوم الأنفي " أو " الحلق الأنفي " " Nasopharynx "، أو " البلعوم العلوي " Epipharynx "، وهو يشكل البلعوم العلوي الذي يصله بالأنف، ويقع خلف منطقة سقف الحنك الرخو " Softpalate "، التي تلتصق بها اللهاة " Uvula "، هذا العضو الذي يتم به إغلاق البلعوم الأنفي " في أثناء عملية مرور الغذاء عبر " البلعوم الفموي "؛ لذا فهي تشكل حدّاً فاصلاً بين هذين التجويفين.

وفي ضوء هذا التقسيم سنرى البلعوم يتأثر بالحنجرة و لسان المزمار والحنك الرخو و اللهاة و اللسان، وسنرى له دوراً مهماً في عملية إنتاج الأصوات، فهو بمثابة فراغ زبني يعمل على تقوية

الصوت بعد صعوده من الحنجرة، و هو مخرج لبعض الأصوات اللغوية ، تعرف بالأصوات الحلقية " Pharyngeal "، فقد اختصه القدماء مخرجاً لأصوات الهمزة و الهاء و العين و الحاء و الغين و الخاء، حيث جعلوا الهمزة و الهاء من أقصاه، و نص ابن جني على أنهما من أسفل الحلق و أقصاه [06] ج 1 ص 52. و العين و الحاء من وسطه، و الغين و الخاء من أدناه من الفم، و نص السكاكي على أنهما من أدنى الحلق إلى اللسان [37] ص 12، و ذكر ابن يعيش أن « الخاء أقرب إلى الفم من العين » [08] مج 2، ص 10- 12.

و لعلنا نفهم من نسبة علماء العربية القدماء للهمزة و الهاء إلى " أقصى الحلق " أو " أسفله " أو " أقصاه " أنهم أثبتوا دور الحنجرة في نطق هذين الصوتين إلى الحلق؛ الأمر الذي قد يُستنتج منه أنهم أدخلوا الحنجرة في حيزه، كما إن نسبتهم للغين و الخاء إلى أدنى الحلق من الفم أو إلى فوق وسطه مع أول الفم كما ذكر ابن جني. [06] ص 1 ص 52. أو إلى أدناه إلى اللسان عند السكاكي، و أن الخاء أقرب إلى الفم من الغين كما وضّح ابن يعيش يجعلنا نقول بأن الحلق عندهم يمتد ليشمل أعلى الحنجرة حتى أقصى تجويف الفم عند اللهاة و مؤخر اللسان، و أنهم بإشاراتهم إلى الفم و تخصيص بعضهم للسان فيه أدركوا دور اللسان و الحنك اللين و اللهاة في إنتاج الغين و الخاء.

و إذا نظرنا إلى علماء العربية المحدثين فسنجد طائفة منهم تحاكي القدماء فيما ذهبوا إليه، و طائفة أخرى من علماء اللغة لا تبتعد كثيراً عنهم، و إن كانت أكثر دقة في تحديد حيز المخرج، حيث رأينا نسبة الهمزة و الهاء إلى الحنجرة [38] ص 117، 125، 131؛ أو الوترين الصوتيين [36] ص 200. أو إلى المزمار. [22] ص 273.

أما الغين و الخاء فجاءت نسبتهما إلى الطبق أو الحنك اللين أو الرخو مع الإشارة إلى أثر اللسان فيهما أحياناً، فهي عند تمام حسان و رمضان عبد التواب طبقيان [38] ص 117، 129-130، و عند السعران حنكيان قَصِيَّان [32] ص 194، و عند بشر من أقصى الحنك [02] ص 90.

و عند أحمد مختار عمر من الطبق اللين مع مؤخر اللسان [22] ص 271، و عند سعد مصلوح من مؤخر اللسان مع الحنك اللين [34] ص 201. و يطلق علماء العربية على الحلق و البلعوم اسم " المَزْرَد " بفتح الميم و الراء و سكون الزاي بينهما [03] ج 6 ص 34، و يبدو أن معجم " لسان العرب " عندما تعرض لمصطلح الحلق قصر وظيفته على عملية نقل الغذاء، فعرفه بقوله: « الحلق مَسَاغ الطعام و الشراب في المريء » [03] ج 3 ص 287، و هذا حذوه مجمع اللغة العربية في القاهرة حين عرفه بأنه « جزء من القناة الهضمية يوصل ما بين الفم و المريء، و هو مَسَاغ الطعام و الشراب إلى المريء »، غير أنه- في هذا المقام- زاد عنه الإشارة إلى وظيفته الصوتية التي تتمثل في كونه مخرجاً لأصوات الهمزة و الهاء

والعين والحاء والغين والحاء [39] ج 1 ص 200، وهي زيادة لم يغفل عنها صاحب "لسان العرب" في مواضع أخرى [03] ج 9 ص 5.

ومن حيث وظيفته الصوتية وجدنا جمهور علماء العربية يقسمون الحلق وفق قربه من الفم أو بعده عنه إلى ثلاثة أقسام: أقصى الحلق: أي آخره من جهة مصدر الصوت، ويختصونه بصوتي الهمزة والهاء، ووسطه: وينتجون منه صوتي العين والحاء، وأدناه: أي أقربه من جهة الفم، ويتشكل فيه عندهم صوتا الخاء والغين.

وإذا كان الحلق تجويفاً سماه بعض العلماء " الفراغ الحلقى " أو " التجويف الحلقى "، فإنه زيادة على قدرته في تمييز بعض الأصوات اللغوية التي تعرف بالأصوات الحلقية " Pharyngeal " يُستغل- بصفة عامة- كفراغٍ رنانٍ يضخم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة. [11] ص 18.

1. 11. 7. الحنك " Palate "

وهو الجزء الأعلى من تجويف الفم؛ لذا وجدنا العلماء يطلقون عليه هذه التسميات: " الحنك الأعلى " أو " سقف الحنك " أو " سقف الفم " " Roof of the mouth " ، ويقسمه العلماء إلى:

1. 11. 7. 1. " مُقدم الحنك " أو " اللثة " أو " أصول الأسنان العليا " Alveoli "

" Teethridge "، وهو الجزء المُحدَّب والمُحزَّز الواقع خلف الأسنان العليا مباشرة.

1. 11. 7. 2. " وسط الحنك " أو الحنك الصلب " Hard palate " أو " الغار "،

ويقال له: " الغار الأعلى " أيضا، ويقع خلف اللثة مباشرة، وهو يتخذ شكل القبة.

1. 11. 7. 3. " مؤخر الحنك " أو " أقصى الحنك " أو " الطبق " أو " الحنك

الرخو " Velum " أو " الحنك اللين " Soft palate " ، وهو الجزء الخلفي من الحنك الصلب، وملاصقٌ للهاة هذا الجزء اللحمي المتدلي منه، والقريب من الحلق.

وللحنك أهمية في تحديد ملامح كثيرٍ من أصوات العربية، خاصَّةً وأنه يتلاقى واللسان- أكثر أعضاء جهاز النطق حركةً ومرونة- في مواضع مختلفة.

1. 11. 8. اللّهاة " Uvula "

وهي زائدة لحمية صغيرة تتدلى في نهاية الطرف الخلفي إلى الحنك اللين ومهمتها الفسيولوجية إغلاق البلعوم الأنفي عن البلعوم الفموي في أثناء بلع الطعام، ولها أهميتها في إحداث صوت الغنة والصوت الأنفي، وهي تُشكّل مع مؤخر اللسان نقطة اعتراض للنفس الزفيرى ينتج عنها بعض الأصوات اللغوية كصوت القاف في نطق قراء القرآن الكريم [32] ص 144.

1. 11. 9. اللسان " Tongue " or " Lingua "

وهو من أعضاء الجهاز النطقي المهمة؛ حيث تُمكنه مرونته من التحرك في كلّ أنحاء الفم، والاشتراك مع أعضاء أخرى فيه كالحنك والأسنان في تحديد كثيرٍ من أصوات اللغة، وهو لا يستقل بنطق صوتٍ معين.

ولأهميته في إصدار الأصوات سميت " اللغة " لساناً في كثيرٍ من اللغات، واستخدم العرب القدماء اللسان للدلالة على اللغة الفصيحة وخاطبهم القرآن بهذا المصطلح، ويذيع في أيامنا تسمية " علم اللغة " بـ " علم اللسان " أو " اللسانيات " أو " الألسنية " أو " علم الألسن "، وهناك كلية الألسن التي تُعنى بتدريس اللغات.

ويُقسّم العلماء اللسان، أو إن شئت الدقة فقل: ظهر اللسان " Dorsum " أو " سطحه العلوي " إلى أجزاء هي:

1. 11. 9. 1. طرف اللسان " Blade "

ويسميه بعض العلماء " نصل اللسان "، وهو أول اللسان بل الجزء الرفيع الأمامي المقابل لحافة اللثة-مقدم الحنك-، ويسمى طرف اللسان الأمامي القصي من هذا الجزء بـ " ذلّق اللسان " أو " نهاية اللسان " " Tip " or " Point Of The Tongue "

1. 11. 9. 2. وسط اللسان أو مقدمه " Front Of The Tongue "

وهو الجزء الموازي للحنك الصلب.

1. 11. 9. 3. أقصى اللسان أو مؤخره " Back Of The Tongue "

وهو الجزء المقابل للحنك اللين.

1. 11. 9. 4. جذر اللسان " Root Of The Tongue "

ويسميه بعض العلماء " أصل اللسان " Base "، ويتميز هذا الجزء من اللسان بتشكيله قاعدةً ثابتةً لأجزاء اللسان السابقة التي تتميز عنه بمرونتها وحرية حركتها، حيث لا تتصل فسيولوجياً بغيرها من أعضاء الجسم، بخلاف هذا الجزء.

1. 11. 10. الأسنان " Teeth "

والأسنان جمع سن وهي كلمة مؤنثة، وللأسنان أهمية كبيرة في إنتاج الأصوات، وتظهر فائدتها بجلاءً عندما يفقد الإنسان بعض أسنانه، أو يستبدل بها غيرها من الأسنان الصناعية، وتوجد الأسنان وغيرها من بعض أعضاء النطق كاللسان في تجويف الفم؛ لذا فهي تتعاون معه في تشكيل مخارج كثير من الأصوات.

وسبحان الله العلي العظيم جعل اللسان حُرَّ الحركة، وجعلها ثابتةً في اللثة التي تشكل أصول منابتها، فلا يعوقه أي عائق من الاتصال بجميعها في قسميها: الفك العلوي والفك السفلي؛ الأمر الذي يجعلها مُنكَّأً له يَنكئُ عليه في تكوين الأصوات.

وعدة الأسنان في فم الإنسان البالغ- في الأغلب الأعم- اثنتان وثلاثون تتوزع بالترتيب نفسه في الفكين على النحو الآتي:

1. 11. 10. 1. الثنايا: واحدها ثنَّيَّة، وهي الأسنان الأربع التي تقع في مقدم الفم: ثنيتان في العلوي، والأخريان في السفلي.

1. 11. 10. 2. الرباعيات: وهي أربع أسنانٍ تلي الثنايا: في كلِّ فكٍّ " Jow " رباعيان.

1. 11. 10. 3. الأنياب: وتجمع أيضاً " الأنيب "، والمفرد " ناب "، وهي أربعةٌ تلي الرباعيات: نابان من فوق، ونابان من تحت.

1. 11. 10. 4. الأضراس: وتجمع على " ضروسٍ " أيضاً، وواحدتها " ضرسٌ "، وهو السن الطاحن، وعددها عشرون تتوزع على النحو الآتي:

1. 11. 10. 4. 1. الضواحك: والضواحك هو الضرس الذي يلي الناب؛ وسُمي بـ" الضواحك " لظهوره عند الضحك، ولكلِّ فكٍّ ضاحكان.

1. 11. 10. 4. 2. الطواحن: ومفردها طاحن، وهي التي تطحن الطعام لتسهيل عملية بلعه، وعددها اثنا عشر طاحنا، لكلِّ فكٍّ ستةٌ منها.

1. 11. 10. 4. 3. النواجذ: وهي آخر الأضراس، وعددها أربعة: اثنان لكلِّ فك، وهي المعروفة في لغة الشارع بـ"ضروس العقل" أو "طواحين العقل"، وقد لا يظهر من هذه النواجذ إلا اثنان، الأمر الذي جعلني أحترز فلا أعمم عدد الأسنان باثنين وثلاثين سناً في الناس جميعاً.

1. 11. 11. الشفتان " Lips " :

واحدة شَفَّة، والنسبة إليها شَفَوِيٌّ وشَفَهِيٌّ، وهي عبارة عن عضلتين مستديرتين متحركتين ينتهي بهما الفم؛ لذا فإنهما يُشكِّلان المخرج الأخير الذي تخرج منه الأصوات، وإن غَلَقَ الشفتين إغلاقاً تاماً دون فتح يعني عدم القدرة على إنتاج الأصوات بل اللغة؛ فاللغة بنت الشفتين؛ وعليه يمكننا أن نفهم قولهم: «لم ينبس ببنت شفة» أي لم يتكلم، فإنتاج اللغة مقترنٌ بحركة الشفتين المستمرة في أثناء النطق.

وليس من شكٍّ في أن لحركة الشفتين التي تسمح لهما باتخاذ أوضاعٍ مختلفةٍ كالإغلاق التام أو غير التام أو الانفراج أو الاستدارة أو الاستطالة- عند النطق أثراً كبيراً في تكوين بعض أصوات اللغة، فإغلاق الشفتين إغلاقاً تاماً بعد فتحٍ ينتج عنه صوتا الباء والميم، وإغلاقهما إغلاقاً غير تامٍ ينتج عنه صوتا الفاء والواو غير المدية كما في (وقف)، وانفراجهما ينتج عنه صوت الياء كما في (يئس)، كما إن لأوضاع الاستدارة أو الاستطالة أثراً في حجم تجويف الفم؛ الأمر الذي يُبرز صدى الصوت، ويؤثر في مدود الحركات.

1. 11. 12. الجَوْف " Cavity " or " Chamber " :

ويجمع على أجواف وجوف، والجَوْف لغةً الخلاء أو الفراغ، وللجوف في إنتاج الأصوات فائدةٌ كبيرة، فهو بمثابة حجرة رنين " Resonance " تسهم في تقويتها.

وفي الإنسان تجاويفٌ متعددة: كتجاويف الجهاز النطقي التي أشرنا منها إلى تجويف الحلق، وهناك تجويفان آخران لهما أهميتهما في عملية إنتاج أصوات اللغة، وهما:

1. 11. 12. 1. جوف الفم " The Oral Cavity " :

وهو هذا الخلاء الواقع بين الحلق والشفتين، وقد تنبَّه العرب القدماء لأثره في إنتاج الأصوات، ونسبوا إليه أصوات المد.

1. 11. 12. 2. جوف الأنف " The Nasal Cavity "

وهو الفراغ الذي ينفذ النَّفس من خلاله حرّاً عند إغلاق الفم إغلاقاً تامّاً، وإن اندفاع النَّفس من الأنف يمكن من نطق صوتي الميم والنون؛ فأغلاقك لأنفك يجعلك لا تستطيع نطقهما؛ الأمر الذي يفسّر صعوبة نطقهما في حالة الإصابة بالزكام، وهكذا فإن إغلاق الفم أمام الزفير ينفذ من الأنف شرطاً لإنتاج هذين الصوتين، وأساساً في إحداهن " الأنفية " " Nasality "، أو- إن شئت فقل بالمصطلح العربي:- " الغنة "، حيث يخرج أكثر الهواء عبر فراغ الفم، مع السماح لجزءٍ منه « بالمرور إلى الأنف لإكساب الصوت الفموي عنصراً إضافياً من الرنين الأنفي » [34] ص150.

إن استعراضنا لأعضاء الجهاز النطقي يبين أن منها ما هو ثابت كالحلق والأسنان ومقدم الحنك أو اللثة ووسط الحنك، وما هو متحرك كالشفيتين واللسان والحنك الرخو واللهاة والحبليين الصوتيين ولسان المزمار.

وأن سلامة نطق اللغة وأصواتها يرتبط- في الأغلب الأعم- بسلامة أعضاء الجهاز النطقي، وأن اختلاف لغات البشر لا يعني اختلاف أعضاء أجهزة نطق كل لغة، أو أن هناك جهازاً صوتياً لكل لغة، وإنما الأمر مردّه إلى حكمة اقتضاها الله سبحانه وتعالى في خلقه؛ لتدل على قدرته المعجزة: ينتج من الشيء الواحد ما هو مختلف ألوانه وشرابه ومذاقه وكلامه وحركاته وعاداته ... إلخ.

وننبه في هذا المقام أيضاً على أن الإنسان لا يمتلك جهازاً نطقياً مستقل بوظائف الصوت أو إنتاج اللغة بصفة عامّة؛ وإن إطلاق مصطلح " الجهاز النطقي " أو " الجهاز الصوتي " هو من باب المجاز؛ فجميع الأعضاء التي نسبنا إليها وظيفة نطقية تقوم بوظائف فسيولوجية رئيسة تشترك مع غيرها في بناء الجسم، وتعمل على حفظ حياته، « فالنطق في الواقع ليس أكثر من وظيفة ثانوية تؤديها هذه الأعضاء إلى جانب قيامها بوظائفها الرئيسية التي خلقت من أجلها؛ ولهذا فإن عجز الإنسان عن الكلام لإصابته بالبكم لا يعني على الإطلاق عجزاً أعضائه هذه عن القيام بوظائفها الأخرى التي تحفظ على صاحبها الحياة، فلسان الأخرس يقوم بجميع الوظائف التي يقوم بها لسان غير الأخرس، فيما عدا الكلام بطبيعة الحال » [34] ص40.

1. 12. صفات الحروف:

صفة الحرف هي الهيئة التي يكون عليها الحرف أن حصوله في المخرج الصوتي من الجهر والرخاوة، والشدة والهمس، ونحو ذلك.

وصفات الحروف كثيرة، إنما المختار منها سبع عشرة صفة تتنوع على دائرتين [40] ص122:

أ- دائرة لها ضد، ويبلغ عددها وعدد ضدها، معا عشر صفات، وهي:

- 1- الجهر وضده الهمس.
- 2- الشدة وضدها الرخاوة.
- 3- الاستعلاء وضده الاستفال.
- 4- الإطباق وضده الانفتاح.
- 5- الإذلاق وضده الإصمات.

ب- دائرة لا ضد لها، وعددها سبع صفات، وهي:

- 1- الصغير.
- 2- القلقة.
- 3- اللين.
- 4- الانحراف.
- 5- التكرير.
- 6- التفشي.
- 7- الاستطالة.

ومن الواجب هنا أن نوضح أن كل حرف شارك حرفا آخر في المخرج الصوتي فإنه يمتاز عنه بالصفات، وكذلك الحال، فإن كل حرف شارك حرفا آخر في الصفات فإنه لا بد من أن يمتاز عنه بالمخرج الصوتي.

وأما الدكتور عبد الصبور شاهين فقد أوضح أن سيبويه ذكر صفات كثيرة للأصوات يمكن تصنيفها على الوجه التالي:

- 1- صفات عامة هي: الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والتوسط.

2- صفات خاصة تتميز بها مجموعات صغيرة من الأصوات وهي: الإطباق، واللين، والمد، والاستطالة، والتفشي، والصفير والغنة.

3- صفات خاصة تتميز بها أصوات مفردة، وهي: الانحراف، والتكرير [41] ص 199.

1.13. خلاصة:

من خلال هذا الفصل صار واضحاً أمامنا أنّ علماء العربية كانوا أهل معرفة بعلم الأصوات ، بل كانوا من السبّاقين في وضع معالم هذا العلم بفضل سلامة فكرهم وحسن نظرهم، ولقد قدم كل واحد من هؤلاء وجهة نظره خدمةً للعربية من جهة، وخدمة لكتاب الله من جهة أخرى، لذلك فإن الناظر في آراء هؤلاء العلماء يدرك قدر الجهد الذي بذل وقدر المعاناة التي لازمت أغلب هؤلاء الجهابذة، وإنّ من أغلب هؤلاء كان بارعاً في علوم شتى ولم يقتصر جهده على علم دون علم، هذه الثقافة الموسوعية التي ظهرت عند أغلبهم هي التي جعلت الناس من بعدهم عيالاً لهم وتلاميذ يحاولون فهم نهجهم ونظرياتهم، وإنني بعد هذا الفصل أنتقل إلى الفصل الثاني الذي يُبين جهد طائفة من هؤلاء وهم علماء التجويد الذين عنو بتحقيق بتحقيق القراءات القرآنية خدمة لكتاب الله وحفظاً له من اللحن وصوناً من كل ما من شأنه أن يشوبه بشبهة تنقص من علوه ورفعته، كلّ ذلك حاولت أن أوضحه من خلال الفصل الثاني الذي عنونته بالقراءات القرآنية، ومن الله التوفيق والسداد.

الفصل 2

القراءات القرآنية

1.2. تمهيد:

يُعدّ علم القراءات القرآنية أحد أهم العلوم التي تفرّدت بها الأمة الإسلامية، وذلك لأن القواعد التي أسس عليها هذا العلم كانت كافية جداً، ليكون هذا القرآن محفوظاً من التحريف والتزييف والزيادة والنقصان، وذلك تحقيقاً لمراد الله تبارك وتعالى في الإبقاء على كلامه دون أن تمسه أيدي المضلّين والوضّاعين الذين يتربصون بدين الله الدوائر حتى يخرجوا به عن نهجه القويم وصراطه المستقيم، فقد أراد الله تعالى أن ينجو هذا الكتاب من أي تحريف كما فعل بالكتب التي سبقته، قال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [42] سورة الحجر، الآية: 9.

وقد يرى لهذا العلم رجال أفنوا أعمارهم في تجويد كلام الله والمحافظة عليه من التبديل والتزوير، حتى صارت جهودهم علما قائما بذاته، مبنيّ على دقة في الأداء، وقد قدّ هؤلاء العلماء قواعد ضبطوا بها كتاب الله تعالى حتى يبقى نقياً كما أنزل، وقاموا بالعناية بنقله جيلاً بعد جيل في أرقى درجات النقل وهي التواتر الذي يستحيل معه التواطؤ على الكذب أو الاحتيال.

وإنني في هذا الفصل بعون الله وفضله، سأسعى للتعريف بهذا العلم وأهم المصطلحات التي جرى عليها عرف القراء مع التتبع الزمني الذي جرى من خلاله تطور هذا العلم حتى صار على ما هو عليه الآن من حسن التقعيد ووضوح التقسيمات الواردة فيه، ودقة التفصيل فيما يتعلق بالأصول من جهة والفرش من جهة أخرى.

وعليه فإن منهجنا في هذا الفصل هو تقسيمه، إلى مبحثين أساسيين أولهما يعنى بالتعريف بعلم القراءات وفائدته وأهم المبادئ التي ينبني عليها، مع الإشارة إلى القراء المعروفين الذين شهدت لهم الأمة بالدقة والإتقان في النقل والأداء ثم نردف ذلك بمبحث ثان نتحدث فيه عن قراءة الإمام نافع المدني بشيء من البسط الذي تقتضيه الرسالة، تمهيداً للدخول في الفصل الثالث الذي يعنى برواية ورش عن الإمام نافع المدني.

والله نسأل أن يوفقنا إلى السداد في اختيار أحسن العبارات الدالة على المقصود وهو حسبي ونعم الوكيل.

2.2. التعريف بالقراءة القرآنية:

2.2.1. لغة:

جاء في مختار الصحاح للحرّازي في مادة (ق ر أ) ما يلي:

(قرأ) الكتاب (قراءة) و (قرأنا) بالضم. و (قرأ) الشيء (قرأنا) بالضم أيضاً جمعه و ضمّه و منه سُمّي القرآن لأنه يجمع السُّور ويضمها. و قوله تعالى: (إن علينا جمعه و قرآنه) أي قراءته. و فلانٌ (قرأ) عليك السلام و (أقرأك) السلام بمعنى. و جمع القارئ (قرأة) مثل كافر و كفرة. و (القراء) بالضم والمد المتنسك وقد يكون جمع قارئ [05] ص 244. (انتهى).

والقراءات جمع قراءة، وهي مصدر من قرأ يقرأ قراءةً وقرآنًا، واسم الفاعل منه قارئ وجمعه قرّاء. ويرد الفعل غير مهموز كقرى ولا يختلف مع الأول في معناه [43] ج 9 ص 272.

ولابن القيم الجوزية تحليل جيد يفرق فيه بين (قرى، يقرى) و (قرأ، يقرأ) فيقول:

الأولى: (قرى، يقرى) وهو فعل معتل الآخر ومعناها: الجمع والاجتماع.

الثانية: (قرأ، يقرأ) وهو فعل مهموز، ومعناه الظهور والخروج على وجه التقريب والتحديد، ومنه قراءة القرآن لأن قارئه يظهره ويخرجه مقدرًا محدودًا لا يزيد ولا ينقص ويدل عليه قوله: (إن علينا جمعه و قرآنه) (القيامة: 17). ففرق بين الجمع والقرآن، ولو كان واحداً لكان تكريراً محضاً [44] ج 5 ص 635.

2.2.2. اصطلاحاً:

تعددت تعريفات العلماء للقراءات، ولذا نحاول أن نذكر أهمها حسب التسلسل الزمني لوفاة الأعلام المعرفين لها ونعلق عليها تباعاً.

- تعريف أبي حيان الأندلسي: قال أبو حيان في معرض تعريفه للرسم في الاصطلاح:

« التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وتتميمات ذلك » [45] ج 1 ص 19.

والملاحظ هنا أن أبا حيان أراد أن يعرف التفسير ولكنه قدم تعريفاً للقراءات القرآنية حين قال: « كيفية النطق بألفاظ القرآن » وهذا هو علم القراءات وليس علم التفسير اللهم إلا إذا أراد من خلال ذلك

أن علم القراءات هو أحد مستلزمات علم التفسير مضافاً إليه علوم أخرى مثل علم النحو وعلم البلاغة وعلم اللغة وغيرها.

- تعريف الدمياطي [46] ص 91: لقد تعرض الدمياطي لعلم القراءات باستفاضة وتحدث عن كل ما له علاقة بعلم القراءات نذكرها لفائدتها:

أ (عرف الدمياطي القراءات فقال: « علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع ». أو يقال: « علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله ».

ب (وموضوعه: كلمات القران من حيث يبحث فيه عن أحوالها كالمد والقصر والنقل.

ج (واستمداده من السنة والإجماع.

د (فائدته: صيانتته لتحريف والتغيير مع ثمرات كثيرة، ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في قراءة أخرى، والقراءة حجة الفقهاء في الاستنباط ومحجتهم في الاهتداء مع ما فيه من التسهيل على الأمة.

هـ (وغايته: علم القراءات ما يقرأ به كل أئمة القراء.

ويضاف إليه: أن ابن الجزري والدمياطي اشترطا في القراءة النقل والسماع، لأن (القراءة سنة متبعة) كما يقول زيد بن ثابت الأنصاري الصحابي، ولأجله يقول ابن الجزري: « وليحذر القارئ الإقراء بما يحسن في رأيه دون النقل أو وجه إعراب، دون رواية » [47] ص 3.

والأصل الشرعي لكلمة " قراءة " : لعل من أقدم النصوص التي أشارت إلى تسمية قراءة، ذلك الحديث المشهور المروي في الكتب الصحاح ونصه:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال أقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرئها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرسله؛ اقرأ يا هشام). فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (

كذلك أنزلت). ثم قال: (اقرأ يا عمر). فقراءت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه) [48] ج 9 ص 22.

إن الأصحاب رضوان الله عليهم أطلقوا لفظ "القراءة" على ما تخيره القراء من تلاوات النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم. ولم تجد هذه القراءات سبيلها إلى التدوين إذ لم يجمع للصحابي مذهب مستقل في الأصول والفرش، بل هي اختيارات متفرقة تلقوها عن النبي صلى الله عليه وسلم في مناسبات متعددة.

ويكشف الحديث السابق عن الإذن الشرعي الصادر من النبي صلى الله عليه وسلم مع التفاوت في الأداء أصولاً وفرشاً.

وأورد علماء القراءات جملة من التعريفات في حد القراءات القرآنية أذكرها مرتبة حسب التسلسل الزمني لوفياتهم كما يلي:

2.2.2.1. تعريف أبي حيان الأندلسي (ت 745هـ):

عرف أبو حيان القراءات في طي تعريفه للتفسير حيث قال: «التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيه التي تحمل عليها حال التركيب وتتمات لذلك».

ثم قال: «وقولنا: «يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن» هذا هو علم القراءات» [45] ج 7 ص 152 والملاحظ في هذا التعرف أنه لم يأت به غرضاً وقصداً ولكن جاء به عَرَضاً فكان-أي التعريف- أقرب إلى موضوع التجويد منه إلى تعريف القراءات لذا لا ينظر إليه كحد يطلب فيه كونه جامعاً مانعاً [49] ص 16.

2.2.2.2. تعريف بدر الدين الزركشي (ت 794هـ):

عرف الزركشي القراءات بقوله: «والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الوحي أو كيفيتها من تخفيف وتثقل وغيرهما» [50] ج 1 ص 138.

والملاحظ في تعريف الزركشي:

- أنه خصص القراءات بمواضع الاختلاف ولم يشر إلى مواضع الاتفاق فيها وهذا يعني أن مواضع الاتفاق ليست قراءات وإنما هي قرآن، ومواضع الاختلاف منها ما يصح كونه قرآناً ومنها ما لا يصح.

- أنه لم يشر في تعريفه بوضوح إلى النقل والرواية التي هي الأصل في القراءات.

- أنه قصر الاختلاف على ما ذكر ولم يشر إلى الاختلاف في اللغة والإعراب والحذف والإثبات وهو واقع في القراءات.

2.2.2. تعريف ابن الجزري (ت 833هـ):

عرف ابن الجزري القراءات بقوله: «القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقل» [47] ص 3.

2.2.2.4. تعريف السيوطي (ت 911هـ):

عرف السيوطي القراءات أثناء حديثه عن أسانيد القراء حيث قال: «ومما يشبه هذا التقسيم الذي لأهل الحديث تقسيم القراء أحوال الإسناد إلى قراءة، ورواية، وطريق، ووجه، فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم واتفقت عليه الطرق والروايات فهو قراءة ...» [51] ج 1 ص 209.

فالقراءة عند السيوطي هي ما خالف فيه إمام من الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم غيره، مع اتفاق الطرق والروايات عليه.

ويلاحظ هنا ما يلي:

- أن هذا التعريف إنما ساقه عَرَضاً لا عَرَضاً.

- أن هذا التعريف إنما ساقه عن القراء عموماً.

- أنه لم يحدد فيه ماهية القراءة من حيث هي، إنما بالنظر إلى الرواية والوجه والطريق وهو ما عبر عنه بقوله: «تقسيم القراء أحوال الإسناد إلى قراءة ...».

2.2.2.5. تعريف شهاب الدين القسطلاني (ت 923هـ):

عرف القسطلاني علم القراءات بأنه: «علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والابدال من حيث السماع». وقال: «علم يعرف منه اتفاقهم واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات، والفصل والوصل من حيث النقل». أو يقال: «علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقلته» [52] ج 1 ص 170.

2. 2. 2. 6. تعريف طاش كبرى زادة (ت 962هـ) [53] ج1ص257:

قال طاش كبرى زادة معرّفاً علم القراءات: « هو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلاف المتواترة وقد يبحث فيه أيضاً عن صور نظم كلام الله من حيث الاختلاف غير المتواترة الواصلة إلى حد الشهرة » [54] ج1ص125.

يلاحظ أن التعريف اكتفى بحصر القراءات في الاختلافات سواء أكانت متواترة أم غير متواترة واصله إلى حد الشهرة، ويبدو أنه لا يريد بالشهرة في التعريف ما هو قسيم المتواتر والآحاد، إنما يريد بالشهرة ما يقابل المتواتر ويدخل في الآحاد [49] ص19.

2. 2. 2. 7. تعريف الزرقاني (ت 1376هـ):

قال الزرقاني معرّفاً القراءات: « مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها » [55] ج1ص405.

يلاحظ أن التعريف حصر القراءات في الاختلافات بين القراء، وأنه حصر الاختلافات في النطق بالحروف وهيئاتها، بينما الخلاف الواقع بين القراءات أعم من ذلك.

2. 2. 2. 8. تعريف عبد الفتاح القاضي (ت 1403هـ):

عرف القراءات بأنها: « علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله » [56] ص7.

2. 2. 2. 9. تعريف محمد سالم محيسن (ت 2002 م) [57] ج1ص35:

عرف محيسن القراءات بأنها: « علم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها من تحفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف بعزو الناقله ».

ويمكن القول أن هذا التعريف مطابق لما أورده ابن الجزري اللهم إلا تلك الإضافة في قوله: « من تحفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي ».

2. 2. 3. خلاصة التعاريف:

يظهر من عرض هذه التعاريف وتقييد الملاحظات عليها أنها:

- تتفق في ما بينها في أداء كلمات القرآن أو التلفظ بها أو نطقها.

- جلها ذكر الاختلاف، وجزء منها فقط ذكر الاتفاق في كلمات القرآن.

- حدد بعضها العزو للناقل.

- جاءت بعض هذه التعاريف مفصلة لما أجمل في غيرها، مما جعل هذه الأخيرة محتواة في الأولى.

وعليه يمكن القول أن تعريف القراءات اصطلاحاً له عناصر تحدّد المعرّف وهذه العناصر هي:

1- مواضع الاختلاف في القراءات.

2- النقل الصحيح- العزو للناقل- سواء أكان متواتراً أم أحاداً.

3- حقيقة الاختلاف بين القراءات.

ولعل التعريف الجامع لأفرادها المانع من دخول غيرها فيها هو ما جمع هذه الحدود والملاحظات وهو ما أثبت عند القسطلاني وعبد الفتاح القاضي.

2.3. الفرق بين القرآن والقراءات:

إن السؤال المطروح هنا، هل القرآن هو القراءات أم أن هناك فرقاً بين القرآن والقراءات؟

من خلال التعريف نجد أن القرآن غير القراءات، فالقرآن هو اللفظ الموحى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، أما القراءات فهي ما قد يعتور اللفظ المذكور من أوجه النطق والأداء كالممد والقصر والتخفيف والتثقيب وغيرها مما قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونُقل عنه بالسند الصحيح المتواتر.

وكان مكي بن أبي طالب القيسي: يذهب إلى التفرقة بين القرآن والقراءة على أساس جملة من الشروط، فما توفرت فيه هذه الشروط فهو قراءة يُقرأ بها (يعني: هي قرآن) وما اختل فيه شرط منها فهو قراءة لا يُقرأ بها [58] ص 57-58.

وخلاصة القول في هذه المسألة أن القراءات قسمان:

(أ) قسم مُجمع على قرآنيته: وهو ما يسمى بالقراءات المتواترة، وهي توقيفية من الله، وهي الحق الذي لا يمارى فيه، وهي قرآن لا تنفك عنه، بل هي ألفاظ مختلفة نزل بها الروح الأمين بعرضات متعددة.

(ب) قسم مختلف فيه: والراجح أنها قراءة وليست قرآنا لورود الفتوى بعدم قرآنيته.

وعلى ضوء ما تقدم نخلص إلى أن القراءة هي: النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي صلى الله عليه وسلم أو كما نُطقت أمامه فأقرأها سواء كان النطق باللفظ المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم أو تقريراً واحداً أم متعدداً، والتعريف هاهنا يعني أن القراءة قد تأتي سماعاً لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم بفعله، أو نقلاً لقراءة قُرئت أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرأها [45]ص95-96.

2.4. ضوابط القراءة الصحيحة:

لعلماء القراءات ضوابط ومقاييس مشهورة دقيقة يزنون بها الروايات الواردة ولتمييز القراءات الصحيحة من غيرها جعل العلماء لهذه الأخيرة شروطاً ثلاثة هي:

1- موافقة القراءة لرسم أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.

2- موافقتها العربية ولو بوجه.

3- صحة السند. قال ابن الجزري في كتابه النشر: ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أُطلق عليها (أي القراءة) ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عن أكبر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الإمام أبو عمرو الداني، ونصّ عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهداوي وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه [59]ج2ص212-213.

وقال أبو شامة: « فلا ينبغي أن يُعْتَرَّ بكل قراءة تعزى إلى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة ويطلق عليها لفظ الصّحة وإن هكذا أنزلت إلا إذا دخلت في ذلك الضابط، وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره ولا يختص ذلك بنقلها عنهم بل نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة؛ فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا عمن تنسب إليه فإن القراءات المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ » [60]ص173.

وقد جعلت هذه الأركان معياراً للقبول أو الرفض. وقد اعتمدها علماء هذا العلم رغم ما بينهم من اختلاف فيها، فمنهم من اشترط ثلاثة أركان مع تفاوت القائلين بهذا في الأخذ بكل ركن منها، ومنهم من يكتفي بشرطين اثنين فحسب، ومن يكتفي بركن واحد فقط، وقد نظم ابن الجزري هذه الأركان فقال:

فكل ما وافق وجه نحوي ❀❀ وكان للرسم احتمالاً يحوي.
وصح إسناده هو القرآن ❀❀ فهذه الثلاثة الأركان.
وحيثما يختل ركن أثبت ❀❀ شذوذه ولو أنه في السبعة.

ولقد تكلم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في كتابه الموسوم بـ"بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، في الجزء الثاني منه عن الأصول التي اعتمدها القراء لتصحيح القراءة من خلال ما جاء عند مؤلفي كتب وعلوم القرآن قبل القرن الرابع ومجمل ما خلاص إليه مايلي:

(1) القراءة هي نقل محض فلا بشيء إلا إذا قرأ به إمام من أئمة الأمصار ولا يصح عن إمام واحد إلا بشروط.

(2) هذا النقل حصل بطريقتين: طريق الرواية المحضة مثل: الأحايث وطريق السماع والعرض. أما الأول فيحتاج إلى سند صحيح ولا يصح يحتج به إلا إذا قرأ به إمام معروف أو أئمة وقد يحتج به في أحوال معينة في الاختيار، أما إما خالف المصحف أو العربية فلا يصح، وأما الثاني فهو إما مجتمع عليه أو مختلف فيه.

(3) القراءة المجتمع عليها هي أصل يرجع إليه، أي حجة في ذاتها، فلا تحتاج إلى أي وسيلة عقلية أو نقلية لتصحيحها، وذلك بحكم اجتماع من تقوم بهم الحجة على القراءة بها، فلا تحتاج إلى موافقة المصحف؛ إذ يستحيل اجتماع القراء على مخالفته، ولا إلى (فشو لغة) إذ قد تكون على لغة كثير ولكنها دون الأكثر في كلام العرب.

(4) المختلف فيه إما أن يكون الاختلاف فيه بين جماعتين (أو ثلاث نادراً) فالقراءتان المختلفتان تعدّان غالباً مستقيضتين فتغير كل واحدة منهما قريبة من القراءات المجمع عليها، وقد تختار بين هاتين القراءتين التي توافق الأصح من كلام العرب.

(5) المختلف فيه الكثير فيه محك صحة هو موافقة المصحف والعربية ليس إلا، وخاصة القراءة التي ينفرد بها قارئ واحد. ولا يراعي المتقدمون في ذلك الإمام في حد ذاته أبداً ولذلك رفضت قراءات من السبعة ومن غيرهم.

6) يتشدد المتقدمون في نقد قراءة المنفرد بها إذا بتعدت عن العربية، ويسمونها... الشاذة مع محاولة أكثرهم إيجاد وجه لها ويلجؤون غالباً إلى الوجه البعيد، ولا تصح بالرويات الكثيرة من غير طريق الإقراء (من أئمة الأمصار).

7) وقد يبالغ بعضهم في هذا التشدد إلى حدّ التعسف، وخاصة المازني والمبرد، وفي بعض الأحيان أبو عبيد وأبو حاتم [61] ج2 ص220-222.

ونحن نقتصر في هذا على هذا الحد، وللقارئ أن يبحث في مضانّ الكتب التي عنيت بالموضوع فهي كثيرة جليّة.

2.5. نزول القرآن على سبعة أحرف:

قد يختلط على المرأ الأمر حين يسمع أن القرآن نزل على سبعة أحرف وله أن يتساءل عن هذا النزول ومن ثم قد يتبادر إلى ذهنه تساؤل آخر هل المقصود بهذه السبعة أحرف القراءات السبع أم أن الأمر ليس كذلك؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها ارتأيت أن أذكر بعض الأحاديث لعلها تكون خير مجيب لمثل هذه التساؤلات.

2.6. بعض الأحاديث الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف:

ليتمكن الباحث من تتبع نشأة القراءات القرآنية والوقوف على فوائد تعددها رأيت أنه من الضروري عرض جملة من الأحاديث الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف والتي نذكر منها ما يلي:

2.6.1. الحديث الأول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف) [48] ج9 ص22.

2.6.2. الحديث الثاني:

عن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إنني

سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تفرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أرسله اقرأ يا هشام). فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذلك أنزلت). ثم قال: (اقرأ يا عمر). فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه) [48] ج9 ص22

2. 6. 3. الحديث الثالث:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف) [62] ج3 ص203

2. 6. 4. الحديث الرابع:

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ دَخَلَ آخَرَ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ وَدَخَلَ آخَرَ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَرَأَا فَحَسَنَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَأْنَهُمَا فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا قَدْ عَشَيْتَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفُضْتُ عَرَفًا وَكَأَنَّمَا أَنْظَرُ إِلَى اللَّهِ عِزُّهُ وَجَلُّ فَفَرَّقَا فَقَالَ لِي: « يَا أَبُي أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هُوَ عَلَى أُمَّتِي. فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ أَقْرَأَهُ عَلَى حَرْفَيْنِ.

فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هُوَ عَلَى أُمَّتِي. فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّلَاثَةَ أَقْرَأَهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَلَكَّ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةً نَسَأَلُهَا. فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي. وَأَخْرْتُ الثَّلَاثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَى الْخَلْقِ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « [62] ج3 ص203

2. 6. 5. الحديث الخامس:

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ عِنْدَ أَصَاةِ بَنِي غِفَارٍ - قَالَ: فَاتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. فَقَالَ: « أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ». ثُمَّ آتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَالَ: « أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ». ثُمَّ جَاءَهُ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ. فَقَالَ: « أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ». ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا « [63] ج6 ص103.

2. 6. 6. الحديث السادس:

عن أبي بن كعب قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فقال: « يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط » قال: « يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف » [64] ج8 ص163-164.

2. 6. 7. الحديث السابع:

عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة فبينما أنا في المسجد جالس إذ سمعت رجلاً يقرأها يخالف قراءتي فقلت له من علمك هذه السورة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا تفارقني حتى تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيناها فقلت يا رسول الله إن هذا خالف قراءتي في السورة التي علمتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ يا أبي فقرأتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنت ثم قال للرجل اقرأ فخالف قراءتي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يا أبي إنه قد أنزل على سبعة أحرف كلهن شاف كاف » [65] ج1 ص153-154.

2. 6. 8. الحديث الثامن:

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ عِنْدَ أَصَاةِ بَنِي غِفَارٍ - قَالَ: فَاتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أُمَّتَكَ عَلَى حَرْفٍ. قَالَ: « أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ». ثُمَّ أَنَاهُ ثَانِيَةً فَذَكَرَ نَحْوَ هَذَا حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ، قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أُمَّتَكَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا » [66] ج2 ص76.

2. 7. بيان المراد بالأحرف السبع:

لقد اهتم العلماء قديماً وحديثاً ببيان المراد بالأحرف السبعة ومن يطالع مصنفات هؤلاء يرى اختلافهم في تفسير الحديث وتضارب أقوالهم في مجاله وتعدد آرائهم في معناه، حيث أن كثيراً منهم جعل همه نقل الآراء حتى ولو كانت غير معزوة إلى أحد العلماء، كما فعل السيوطي في كتابه الإتيان في علوم القرآن حين ذكر نحو أربعين قولاً [51] ج1 ص61.

2. 8. أقوال العلماء في بيان المراد بالأحرف السبع:

2. 8. 1. القول الأول: وقد ورد عن كل من:

1- الإمام علي رضي الله عنه (ت: 40 هـ).

2- عبد الله بن عباس رضي الله عنه (ت: 68 هـ).

فقد قالوا: « نزل القرآن بلغة كل حيٍّ من أحياء العرب »، وقال ابن عباس: « إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرئ الناس بلغة واحدة فاشتد ذلك عليهم. فنزل جبريل فقال: « يا محمد أقرئ كلَّ قوم بلغتهم » [57] ج1 ص27.

2. 8. 2. القول الثاني: وقد ورد عن كل من:

1- محمد بن السائب الكلبي (ت: 136 هـ).

2- الأعمش (ت: 147 هـ).

فقد قالوا: نقلا عن أبي الصلاح مولى أم هانئ بنت أبي طالب عن ابن عباس- رضي الله عنهم -: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، منها خمسة بلغة العجز بن هوازن، قال أبو عبيد بن القاسم بن سلام: العجز بن هوازن هم- سعد بن بكر،- جسم بن بكر،- نصر بن معاوية،- ثقيف،- وهؤلاء هم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء البصري: « وهؤلاء أفصح العرب عليا هوازن وسُفلى تميم » [51] ج1 ص63.

2. 8. 3. القول الثالث:

قال به أبو عبيد بن سلام (ت: 224 هـ).

المراد سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا لم نسمع به قط، ولكن نقول هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه نزل بلغة هوازن وبعضه نزل بلغة هذيل، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذا سائر اللغات ومعانيها في كله واحدة.

ثم قال: « ومما يبين ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: « إني سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فافرقوا كما علّمتم » [51] ج1 ص63.

وقد وافق أبا عبيد في هذا القول كل من:

1- أحمد بن يحيى ثعلب (ت: 291هـ).

2- عبد الحق بن غالب المشهور بابن عطية (ت: 546هـ).

« وقد تعقب بعض العلماء هذا الرأي بأن لغات العرب أكثر من سبعة لغات، وأن هناك العديد من لغات القبائل العربية ورد بها القرآن الكريم، وأجيب بذلك أن المراد أفصحها » [57] ج1 ص63.

2. 8. 4. القول الرابع:

قال أبو العباس بن واصل: « معنى ذلك سبعة معان في القراءة:

أحدها: أن يكون الحرف الأول له معنواحد تختلف فيه قراءتان تخالفان بين نقطة ونقطة مثل: (تعلمون) و(يعلمون).

الثاني: أن يكون المعنى واحداً وهو بلفظين مختلفين، مثل قوله تعالى: (فاسعوا) و(امضوا) من سورة الجمعة، الآية: 9.

الثالث: أن تكون القراءتان مختلفتين في اللفظ إلا أن المعنيين متفرقان في الموصوف، مثل قوله تعالى: (مالك) و(ملك).

الرابع: أن يكون في الحرف لغتان المعنى واحد و هجاؤهما واحد مثل قوله تعالى: (الرشد) و(الرشد) من سورة الأعراف، الآية: 146.

الخامس: أن يكون الحرف مهموزاً أو غير مهموز مثل: (النبىء) و(النبى).

السادس: التثقيب والتخفيف مثل: (الأكل) و(الأكل) من سورة الرعد، الآية: 42.

السابع: الإثبات والحذف مثل(المنادي) و(المناد) من سورة ق، الآية: 41.

واختار هذا الرأي أبو علي الأهوازي وقال: « هذا أقرب إلى الصواب إن شاء الله تعالى »، ثم قال: « وقد روي عن الإمام مالك بن أنس أنه كان يذهب إلى هذا المعنى » [50] ج1 ص222.

2. 8. 5. القول الخامس:

قال به القاسم بن ثابت (ت: 302هـ).

لو أن رجلاً مثل مثلاً لا يريد به الدلالة على معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنزل القرآن على سبعة أحرف) وجعل الأحرف على مراتب سبع فقال:

1- منها لُقْرِيش. 2- ومنها لِكِنَانَة. 3- ومنها لِأَسَد. 4- ومنها لِهُدَيْل. 5- ومنها لِتَمِيم. 6- ومنها لَضَبَة. 7- ومنها لَقَيْس.

لكان قد أتى على قبائل مصر في مراتب سبع تستوعب اللغات التي نزل بها القرآن، ثم قال: « وإن في مضر شواذ لا نختارها ولا نجيز أن يكون القرآن قد أتى بها مثل:

1- كشكشة قيس يجعلون كاف المؤنث شيئاً.

2- وعننة تميم، يقولون: « عن في موضع أن ».

3- وكما ذكر عن بعضهم أنه يبذل السّين تاءً ».

ثم يقول: « وقد جاء في كتاب الله عز و جل ما له وجوه سبعة من القراءات. من غير أن نقول أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: « أنزل القرآن على سبعة أحرف » « [50] ج1 ص219 وما بعدها.

2. 8. 6. القول السادس:

قال أبو محمد البغوي (ت: 516هـ):

« أظهر الأقاويل وأصحاها وأشبهها بظاهر الحديث أنّ المراد من هذه الحروف اللغات وهي أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم وما جرت عليه عاداتهم من الإدغام، والإظهار، والإمالة، والتفخيم، والإشمام، والإتمام، والهمز، والتلين، وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه منها في الكلمة الواحدة »، ثم قال: « ولا يكون هذا الاختلاف داخلاً تحت قوله: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا) النساء: 82. إذ ليس معنى هذه الحروف أن يقرأ كل فريق بما شاء مما يوافق لغته من غير توقيف، بل كل هذه الحروف منصوطة، وكلها كلام الله عز وجل نزل بها الروح الأمين على النبي صلى الله عليه وسلم، ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: « إن هذا القرآن أنزل على سبعة

أحرف «، فجعل الأحرف كلها منزلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعارض جبريل في كل شهر رمضان بما يجمع عند من القرآن فيُحدث إليه فيه ما شاء وينسخ ما شاء، وكان يعرض عليه في كل عرضة وجها من الوجوه التي أباح الله له أن يقرأ القرآن به وكان يجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى أن يقرأ ويُقرئ بجميع ذلك وهي كلها متفقة المعاني وإن اختلفت بعض حروفها « [67] ج4ص507-509.

ووافقه من المعاصرين الدكتور محمد سالم محيسن حيث قال: « إن هذا القول له وجهته، وهو قول سديد ولا اعتراض عليه » [57] ج1ص26.

2. 8. 7. القول السابع:

قال أبو الفضل الرازي (606 هـ):

« الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف:

الأول: اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية، وجمع وتذكير، وتأنيث.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من مضارع وماض وأمر.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب.

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة.

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير.

السادس: الاختلاف بالإبدال.

السابع: اختلاف اللغات كالفتح، والإمالة والترقيق، والتفخيم، والإدغام، والإظهار ونحو ذلك « [57] ج1ص27.

وهذا الرأي قد اختاره اثنان من المحدثين هما: الشيخ الزرقاني في كتابه مناهل العرفان [55] ج1ص155، والشيخ الدكتور صبحي الصالح في كتابه مباحث في علوم القرآن. [68] ص108.

2.8.8. القول الثامن:

قال الشيخ أبو الحسن السخاوي (ت: 643هـ): «فإن قيل أين السبعة الأحرف التي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن القرآن أنزل عليها في قراءتكم هذه المشهورة، أقوال: هي متفرقة في القرآن وجملة سبعة أوجه:

الأول: كلمتان تقرأ بكل واحدة في موضع الأخرى (يُسَيِّرُكُمْ) و(يُنَشِّرُكُمْ) من سورة يونس الآية 22، قرأ لابن عامر أبو جعفر (يُنَشِّرُكُمْ) وقرأ الباقر (يُسَيِّرُكُمْ).

الثاني: زيادة كلمة نحو: (هو الغني) من سورة الحديد الآية: 24، قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بحذف لفظ (هو) وقرأ الباقر بإثباتها.

الثالث: زيادة حرف نحو (من تحتها) من سورة التوبة الآية: 100. قرأ ابن كثير وابن محيصة بزيادة (من) موافقة لرسم المصحف المكي والباقر بدون إثباتها.

الرابع: مجيء حرف مكاناً لآخر نحو: (يقول) و(نقول) من سورة آل عمران، الآية: 181، قرأ حمزة (يقول) بياء الغيبة، وقرأ الباقر (نقول) بالنون.

الخامس: تغيير في الحركات نحو: (فتلقى آدم من ربه كلمات) من سورة البقرة، الآية: 37، قرأ ابن كثير وابن عباس ومجاهد بنصب (آدم) ورفع (كلمات)، وقرأ الباقر برفع الميم ونصب التاء.

السادس: التشديد والتخفيف نحو: (تَسَاقَطُ) و(تَسَاقِطُ) من سورة مريم، الآية: 25، قرأ أبو عمرو، وعاصم، والكسائي وغيرهم (تَسَاقَطُ) بفتح السين وفتح القاف.

السابع: التقديم والتأخير نحو: (وَقَاتَلُوا) و(فُقِتُوا) من سورة آل عمران، الآية: 195، قرأ حمزة والكسائي وخلف ونافع (وَقَاتَلُوا وَفُقِتُوا) والباقر (وَقَاتَلُوا) «[49]ص33-35.

2.8.9. القول التاسع:

قال أبو شامة (ت: 665هـ) بعد أن نقل في كتابه المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز، الآراء المتعددة التي وردت في هذه القضية الهامة قال: «وهذه الطرق المذكورة في بيان وجوه السبعة الأحرف في هذه القراءات المشهورة كلها ضعيفة إذ لا دليل على تعيين ما عيَّنه كل واحد منهم ومن الممكن تعيين ما لم يُعيَّنوا ثم لم يحصل حصر جميع القراءات فيما ذكره من الضوابط، فما الدليل على ما ذكره مما دخل في ضابطهم؟

وكان الأولى من جميع ذلك لوجملت على سبعة أوجه من الأصول المطردة مثل:

1- صلة ميم الجمع وهاء الضمير وعدم ذلك.

2- الإدغام والإظهار.

3- المدّ والقصر.

4- تحقيق الهمز وتخفيفه.

5- الإمالة وتركها.

6- الوقوف بالسكون وبالإشارة إلى الحركة.

7- فتح الياءات وإسكانها وحذفها «[57]ج1ص29.

ويُعدُّ هذا الرأي من الآراء المبتكرة التي لم يسبقه إليه أحد في حدود ما اطلعت عليه من آراء في هذه المسألة.

2.8.10. القول العاشر:

وهو قول محمد بن الجزري (ت: 833هـ):

فقد قال بعد أن نقل في كتابه النشر في القراءات العشر العديد من الآراء التي وردت في بيان المراد من الحديث قال: «ولا زلت استشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلثين سنة حتى فتح الله علي بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله وذلك أنني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها»؛

الأول: أن يكون الاختلاف في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة نحو: (يَحْسِبُ) بفتح السين وكسرها.

الثاني: أن يكون بتغيير في المعنى فقط دون التغيير في الصورة نحو: (فتلقى آدم من ربه كلمات) سورة البقرة، الآية: 37، وقد تقدم تخريج القراءات فيها.

الثالث: أن يكون في الحروف مع تغيير في المعنى لا في الصورة نحو: (تَبَلُّوا) و(تَتَلَّوا) من سورة يونس، الآية: 30، فقد قرأ حمزة والكسائي (تَتَلَّوا) بتأين من التلاوة، وقرأ الباقون (تبلوا) من الابتلاء. [69]ج3ص72.

الرابع: أن يكون في الحرف مع التغيير في الصورة لا المعنى نحو (الصَّرَّاط) و(السَّرَّاط) من سورة الفاتحة، الآية: 6؛ فقد قرأ ابن كثير وقنبل ورويس وغيرهم بالسين على الأصل، لأنه مشتق من السرط وهو البلع لغة عامة العرب، وقرأ الباقون بالصاد الخالصة وهي لغة قريش. [69]ج3ص12.

الخامس: أن يكون في الحرف والصورة نحو: (يَأْتَل) و(يَاتَل) من سورة النور، الآية: 22؛ قرأ أبو جعفر (يأتَل) على وزن يتفعل مضارع تألى بمعنى خلف، وقرأ الباقون (ياتل) على وزن يفتعل مضارع (أءتلى) من الألية وهو الحلف، والقراءتان بمعنى واحد [57]ج2ص72.

السادس: أن يكون في التقديم والتأخير نحو: (وَقَاتَلُوا) و(وَقُتِلُوا) من سورة آل عمران، الآية: 195. وقد سبق بيان ما فيها من قراءات.

السابع: أن يكون في الزيادة والنقصان نحو: (وأوصى) و(ووصى) من سورة البقرة، الآية: 132؛ فقد قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (وأوصى) بهمزة مفتوحة بين الواوين مع تخفيف الصاد وهي موافقة لرسم المصحف المدني والشامي، وقرأ الباقون (ووصى) بحذف الهمزة مع التشديد معدى بالتضعيف، وهي موافقة لرسم مصحف العراق «[69]ج1ص116»

2. 9. فوائد تعدد القراءات:

إن الوقوف على فوائد تعدد القراءات أمر اجتهادي فقد تبين من دراسة بعض المصادر أنَّ من بين هذه الفوائد ما يأتي:

1- ما يكون لبيان حكم شرعي مجمع عليه، مثل قراءة: (وله أخ أو أخت من أم) فهذه القراءة بينت أن المراد بالإخوة هنا الإخوة لأم وهذا حكم مجمع عليه بين الفقهاء، وهي قراءة سعد بن أبي وقاص، وهي قراءة شاذة للآية: 12 من سورة النساء. [50]ج1ص373.

2- ومنها ما يكون مرجحاً لحكم اختلف فيه: كقراءة: (أو تحرير رقبة) من سورة المائدة، الآية: 89؛ في كفارة اليمين بزيادة لفظ مؤمنة تُبيِّن اشتراط الإيمان في الرقبة المعتقة في كفارة اليمين، كما ذهب إليه بعض الفقهاء. [70]ج2ص45.

3- ومنها ما يكون للجمع بين حكمين مختلفين مثل: (يَطْهَرْنَ) بالتخفيف و (يَطْهَرْنَ) بالتشديد. (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ) من سورة البقرة، الآية: 222. فالتشديد في الطاء والهاء مضارع (تَطَّهَّرَ) أي اغتسل، والأصل يتطهرن فأدغمت التاء في الطاء، وقرأ الباقون من القراء (يَطْهَرْنَ) بسكون الطاء وضم الهاء مخففة مضارع طهر يقول طهرت المرأة إذا شفيت من المحيض.

فالأولى الجمع بين المعنيين وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع دم حيضها وتطهر بالاغتسال [71] ص 178.

4- ومنها ما يكون لأجل اختلاف حكمين شرعيين كقراءة (وأرجلكم) بالنصب والخفض، فقد قرأ نافع و ابن عامر، و حفص و الكسائي و يعقوب بنصب اللام عطفاً على (أيديكم) فيكون حكمها الغسل كالوجه و قرأ الباقون بخفض اللام، عطفاً على (برؤوسكم) لفظاً و معنى، و الخفض يقتضى فرض المسح، و النصب يقتضى فرض الغسل و كيفية الجمع بينهما أن يجعل المسح لليس الخف و الغسل لغيره. [72] ص 95.

5- ومنها ما يكون لإيضاح حكم يقتضى الظاهر خلافه كقراءة (فامضوا إلى ذكر الله) مقابل قراءة (فاسعوا) من سورة الجمعة فالسعي يقتضى المشي السريع وليس كذلك فكانت القراء الأخرى موضحة لذلك. [55] ج 1 ص 148.

6- ومنها ما في ذلك من عظيم البرهان، وواضح الدلالة، إذ هو من كثرة الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف بل كله بعضه يصدق بعضاً ويتبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض، وما ذلك إلا آية بالغة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. [69] ج 1 ص 123.

7- ومنها إعظام أجور هذه الأمة من حيث أنهم يفرغون جهودهم ليلبغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك، واستنباط الأحكام الشرعية، وإمعانهم في النظر في الكشف في التوجيه والتعليل والترجيح والتفصيل بقدر ما تبلغ غاية علمهم ويصل إليه نهاية فهمهم. [69] ج 1 ص 123.

8- ومنها ما ادخره الله من المنقبة العظيمة والنعمة الجليلة لهذه الأمة من إسنادها كتاب الله. [49] ص 48.

9- ومنها بيان فضل الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيها كتاب ربها هذا التلقي وإقبالها هذا الإقبال، وبيان صوابه وصيغ تصحيحه، وإتقان تجويده حتى حموه من خلل التحريف والتزييف، فلم

يهملوا تحريكاً ولا تسكيناً ولا تفخيماً ولا ترفيقاً حتى ضبطوا مقادير المدود وتفاوت الإمالات وميّزوا بين الحروف بالصفات. [49]ص48.

10- ومنها ظهور سرّ الله تعالى في تولية حفظ كتابه العزيز وصياغة كلامه المنزل بأوفى البيان والتميز، فإن الله تعالى لم يُخَلِّ عصراً من العصور ولا في قطر من الأقطار من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته، يكون وجوده سبباً لوجود هذا السبب القويم على مرّ الدهور، وبقاؤه دليل على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور. [49]ص48.

2. 10. الفرق بين القراءة والرواية والطريق:

هناك بعض المصطلحات التي ترد على السنة المشتغلين بعلم القراءات، وهذه المصطلحات أساسية في فهم هذا العلم ومنها القراءة والرواية الطريق، وسوف نذكرها كما جاءت في كتاب علم القراءات للمؤلف نور الدين محمدي:

القراءة: هي كل خلاف نب لأحد القراء العشرة، وهم: نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائي، أبو جعفر، يعقوب، خلف «.

والرواية: هي ما ينسب للراوي عن أحد هؤلاء القراء العشرة، مثل: رواية البيهقي عن ابن كثير، ورواية ورش عن نافع، ورواية الليث عن الكسائي وهكذا.

والطريق: وهو ما ينسب للأخذ عن الراوي وإن سفل، مثل: طريق عبيد بن الله بن الصباح عن حفص، وطريق أبي نعيم عن قالون، وهكذا.

وقد يكون الوجه الواحد قراءة عند البعض، ورواية عند البعض الآخر، وطريقاً عند آخرين فنقول مثلاً:

وجه البسمة بين السورتين قراءة كل من عاصم والكسائي وابن كثير، ورواية قالون عن نافع، وطريق الأصبهاني عن ورش. [73]ص50.

2. 11. مراتب القراءة:

للقراءة ثلاث مراتب وهي: التحقيق والحدرد والتدوير.

وهي تسميات اصطلاحية لوصف القراءة وبطئها. [74]ص46.

2. 11. 1. التحقيق: هو قراءة القرآن بتأنٍ واطمئنانٍ، ويؤخذ بهذه المرتبة غالبًا عند قراءة المتعلمين أمام الشيوخ حال التعلُّم، ويجب ألاَّ يمتدَّ التحقيق إلى حدِّ الإفراط بتوليد الحروف من الحركات وتكرير الرءات وتحريك السواكن والبالغة في الغنَّة، « وهو مذهب حمزة وورش من غير طريق الأصبهاني، وقتيبة عن الكسائي والأعشى عن أبي بكر، وبعض طرق الأثناني عن حفص، وبعض المصريين عن الحواني عن هشام وأكثر العراقيين عن الأخفش عن ابن ذكوان كما هو مقرر في كتب الخلاف » [59] ج1ص206.

2. 11. 2. الحدر: وهو إدراج القراءة وسرعتها ضدَّ التحقيق، ولا بُدَّ فيه من مراعاة الأحكام من المدِّ وذهاب الغنَّة، فإنَّه خطأ وتحريف.

« والحدَر هو مذهب ابن كثير وأبي جعفر وسائر من قصر المنفصل كأبي عمرو، ويعقوب، وقالون، والأصبهاني، عن ورش في الأشهر عنهم؛ وكالولي عن حفص وأكثر العراقيين عن الحلواني عن هشام ». [59] ج1ص208.

2. 11. 3. التدوير: وهو التوسط بين التحقيق والحدَر، وهو الذي صحَّ عن جميع الأئمة وهو المختار عند أكثر أهل الأداء.

فهذه المراتب الثلاثة جائزة تخيير القارئ منها ما يوافق طبعه ويخفُّ على لسانه.

سئل مالك رضي الله عنه عن الحدَر في القرآن فقال: « من الناس من إذا حدَرَ كان أخفَّ عليه، وإذا رتلَّ أخطأ، والناس في ذلك على ما يخفُّ وذلك واسع ».

وقال القاضي أبو الوليد الطرطوشي: « معنى ذلك أنه يستحب لكل إنسان ما يوافق طبعه ويخفُّ عليه فربما يكلف غير ذلك مما يخالف طبعه فيشقُّ عليه ويقطعه ذلك عن القراءة أو الإكثار منها أمَّا من تساوى عنده الأمران فالترتيل أولى ». [75] ص69.

2. 12. تطور علم القراءات:

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجوع في تعلم القرآن الكريم وأخذه، وكان المرجع عند الاختلاف الذي قد يقع بين الصحابة في أوجه القراءة.

وكانت هذه المرجعية خاصة به صلى الله عليه وسلم في حياته، ولم تتوقف بوفاته صلى الله عليه وسلم بل انتقلت إلى الصحابة الأعلام فانتسعت بذلك دائرتها لتشمل الحفاظ من الصحابة الكرام الذين

خصّهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعرضة الأخيرة لتكون لهم الصدارة في الاقراء من بعده، فاتخذتهم الأمة مرجعا في القراءة والاقراء، وهم ثمانية من كبار الصحابة ممن تصدروا أسانيد القراءة وهم:

- عمر بن الخطاب في السند المدني والمكي والبصري والكوفي.

- عثمان بن عفان في السند البصري والشامي والكوفي.

- علي بن أبي طالب في السند البصري والكوفي.

- أبي بن كعب في السند المدني والمكي والبصري والكوفي.

- زيد بن ثابت في السند المدني والمكي والبصري والكوفي.

- أبو موسى الأشعري في السند البصري.

- عبد الله بن مسعود في السند الكوفي والبصري.

- أبو الدرداء في السند الشامي.

* وقد أخذ عن هؤلاء أربعة من الصحابة، وهم:

- أبو هريرة في السند المدني والبصري.

- عبد الله بن عباس في كل الأسانيد ما عدا السند الشامي.

- عبد الله بن الشائب في السند المكي والبصري.

- الحسن بن علي في السند الكوفي.

فهؤلاء هم المرجعيات الهامة في الأمة على رأس السند في القراءات بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد تفرق هؤلاء الصحابة في الأمصار، فكان في المدينة عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب، وكان في مكة عبد الله بن العباس، وفي البصرة أبا موسى الأشعري، وفي الكوفة عبد الله بن مسعود، وفي الشام أبو الدرداء.

وقد أخذ القراءة عنهم كثير من التابعين وأقرءوها لغيرهم، وصار لكل بلد قراءة متصلة السند برسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه متواتر.

وقد كانت العبرة في تلقي القرآن إنما هي المشافهة، وما الكتابة والتسجيل سوى عاملين مساعدين في الحفظ والضبط، وقد كان لمسألة الإقدام على كتابة المصحف دواعي وأسباب اقتضتها الظروف ومصصلحة الأمة.

كما روت لنا كتب السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ كتاباً للوحي منهم عبد الله ابن أبي السرح الذي كان كاتباً لما ينزل من القرآن في مكة، وظل كذلك حتى ارتد عن الإسلام فاتخذ غيرهم من الكاتبين منهم: الخلفاء الأربعة، ومعاوية ابن أبي سفيان وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وخالد بن الوليد وثابت بن قيس، كان يأمرهم بكتابة كل ما ينزل من القرآن، حتى تظاهر الكتابة جمع القرآن في الصدور. وبلغ عددهم أربعين كاتباً. [68]ص69.

وقد أخرج الحاكم في (المستدرک) بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت أنه قال: « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع ». [46]ص115-118. وفي عهد أبي بكر حدثت الردة واستفحل القتل بالفراء وندب أبو بكر وعمر زيد بن ثابت لجمع القرآن كله وكتابته من العسب والحجارة والعظام مقتصرين على ما لم تنسخ تلاوته تاركين ما نسخ، مثبتين الحروف التي نزل بها القرآن وضمت السور بعضها إلى بعض. سُميت هذه المرحلة الأولى بكتابة الصحف وحفظت عند أبي بكر ثم انتقلت إلى عمر ابن الخطاب ثم إلى أم المؤمنين حفصة جميعاً.

وفي عهد عثمان اتسعت رقعة العالم الإسلامي وسارت الجيوش للفتح وكانوا بالنهار فرساناً وبالليل رهباناً يتلون القرآن أثناء الليل وأطراف النهار، ووقع أن اختلفوا في الأداء وكل منهم يدعي لنفسه أنه على الصواب، وحدث أن دعا الترائق بالكلام إلى التناوش بالسيوف، ودُعي الخليفة عثمان عندها إلى تدارك القوم ورأب الصدع قبل استفحاله ومعالجة الموضوع قبل حصول التقاتل بين المسلمين. فجاءت فكرة كتابة المصحف، فأرسل إلى زيد بن ثابت ليكون على رأس اللجنة الجامعة للقرآن نظراً للصفات التي كان يتمتع بها والتي جعلته أهلاً لهذا المنصب وهذه المهمة الدقيقة، وقد كانت الكتابة آنذاك بدون شكل أو نقط، مما يجعل الألفاظ محتملة لقراءتين أو أكثر.

وقد ذُكرت الرواية عند البخاري بسنده عن أنس بن مالك عن حذيفة بن اليمان. تقول الرواية:

قدم حذيفة بن اليمان على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فذهب إليه وعرض عليه الأمر فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فأرسل إلى السيدة حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن

أرسلني إلي الصحف ووعدها بإعادتها إليها، فأرسلت إليه بما عندها من الصحف، فأمر عثمان زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ففعلوا ما أمرهم به وأرسل نسخاً مما نسخ هؤلاء إلى الأمصار، وقد اختلف في عددها والراجح أنها سبعة بعدد الأماكن: مكة والشام واليمن والبحرين والكوفة والبصرة وأبقى واحدة منها بالمدينة.

ولمّا كان القرآن يُؤخذ بالمشافهة وزيادة في التوثيق وجمع الكلمة بعث مع كل مصحف قارئاً حافظاً يعلم المسلمين القراءة وفق هذا المصحف المرسل إليهم بما عرفه من القراءات الثابتة المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2.13. القراءات مصدر لدراسة اللهجات:

وجدت في كتاب اللهجات العربية في القراءات القرآنية ما يدعو إلى هذا المنحى، إذ قرر صاحب الكتاب الدكتور عبده الراجحي بأن: «القراءات القرآنية هي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائداً في شبه الجزيرة قبل الإسلام، ونحن نعتبر القراءات أصل المصادر جميعاً في معرفة اللهجات العربية، لأن منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر بل يختلف عن طرق نقل الحديث» [76] ص 93-94.

فالقراءة إذن تكتفي في النقل بالسماع، بل لا بد من شرط التلقي والعرض وهما أصح الطرق في النقل اللغوي وكان من نتيجة ذلك ما رأيت من أن: «أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الألفى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية، إذ ثبت عنهم لم يرددها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنّة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها» [77] ص 102.

إضافة إلى ذلك فإن أصحاب القراءات كانوا- إلى شهرتهم بالضبط والدقة والإتقان- على معرفة واسعة بالعربية ووجوهها، فقد كان «ابن كثير أعلم بالعربية من ابن مجاهد» [76] ص 97، وعرف ابن عاصم أنه: «جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، كما عرف عن حمزة أنه كان ثقة كبيراً، حجة رضىً، قيماً بكتاب الله، مجوداً، عارفاً بالفرائض والعربية، والحديث عن أبي عمرو بن العلاء والكسائي إمامي أهل البصرة والكوفة من هذه الناحية لا يحتاج إلى بيان» [78] ج 1 ص 139.

ونحن لا نستطيع أن نعول على القراءات الصحيحة وحدها في معرفة اللهجات العربية، إذ إن العبرة في اختلاف القراءات إنما كانت لاختلاف اللهجات وهذه القراءات الصحيحة ليست كل القراءات التي كان يقرأ بها المسلمون الأولون، لكنها اشتهرت على رأس الثلاثمائة [76] ص 94. حين سبّع ابن مجاهد

القراءات السبع وشذذ ما عداها. ولو بقيت هذه القراءات حتى اليوم لكان تصورا أكثر وضوحاً. وعلى أية حال فإنَّ حال القراءات الشاذة جاءت منقولة مروياً، تبلغ بها عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.

2. 14. التآليف في القراءات:

لم يكن أحد قبل القرن الثالث من الهجرة يفكر في جمع القراءات أو التآليف فيها، فلما كثرت الروايات عن هؤلاء الأئمة، وتعددت الطرق عن غيرهم، وتعسر الضبط، كانت الحاجة ملحة لجمع القراءات وتدوينها، فظهر التآليف في علم القراءات مع منتصف القرن الثالث للهجرة.

وقد مر التآليف في هذا العلم بمراحل أتمت عقده، وأكملت فصوله، ووضعت قواعده ورتبت أبوابه فرشا وأصولا وهي أربعة مراحل [73] ص 15- 24:

2. 14. 1. المرحلة الأولى مرحلة الجمع.

أخذ التآليف في القراءات أول ما بدأ طابع الجمع، فكان أول من جمع القراءات هو أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: 224 هـ)، جمع في كتابه قراءة خمسة وعشرين قارئاً، ثم ألف إسماعيل القاضي (ت: 282 هـ) كتاباً جمع فيه قراءة عشرين قارئاً، ثم أبو جعفر الطبري (ت: 310 هـ)، جمع في كتابه ما بين عشرين إلى ثلاثين قراءة.

ولم يكن هذا الجمع- رغم ضرورته والحاجة إليه- قادراً على تحديد مبادئ هذا العلم، لأن تلك القراءات كانت مما يقرأ به عند الخاصة والعامة، فلم يقدم هذا الجمع شيئاً جديداً، ولذلك فإن هذه المؤلفات لم يكتب لها البقاء.

إلا أن هذه المرحلة لم تخل من فوائد منها:

1/ بينت للعلماء اللاحقين خارطة القراء في كافة الأمصار، في المدينة ومكة والبصرة والشام والكوفة، مع ما حوته من بيان شامل في القراءات المنتشرة في تلك الأمصار.

2/ أعطت صورة واضحة عن القراء والمقرئين الذين نسبت القراءات إليهم في تلك الأمصار، مما سهل وضوح الأسانيد صحة وضعفاً ووضعاً.

3/ سهّل السبيل للعلماء اللاحقين نحو البحث والتدقيق والمقارنة وفتحت المجال نحو تقسيم هذا العلم إلى أبواب وفصول، مع تعديد القواعد وتسهيل عملية الاستقراء، وهذا من أهم العوامل التي ساعدت على تطور التآليف في هذا الفن.

4/ اعتمادها على العدد في الجمع، وهو سبق يُحسب لها، إذ سهلت الوصول إلى القراءات العشر المتواترة، وبيان القراءات المجانبية للصحة، فكل من ألف بعد هذه المرحلة اعتمد تأليفه على عدد معين من القراءات، التي يراها أصح من غيرها، وهذا بناء على مؤلفات هذه المرحلة التي أعطت البداية للانطلاقة الجيدة لهذا العلم.

2.14.2. المرحلة الثانية مرحلة الانتقاء.

تم أخذ التأليف طابع الانتقاء، إذ تحتم على المرجعيات في القرن الرابع الهجري، أن تنتقي القراءات وفق منهج علمي دقيق واستقراء شامل لقراءات الأمصار، فكان أول من فعل ذلك هو أبو بكر بن مجاهد (ت 324هـ)، لما ألف كتابه "السبعة" حيث أخذ على نفسه ألا يروي إلا عمّن عُرف بالضبط والإتقان والأمانة والتقوى، مع ملازمة الإقراء، ووقوع الإجماع من الأمة على الأخذ منه والتلقي عنه، فأدى به منهجه الذي سار عليه إلى قراءات سبعة من الأئمة، توفرت فيهم الشروط وشهدت لهم الأمة بالقبول، وهم: «نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي».

ثم تتابع التأليف بعد ابن مجاهد، جاعلا كتابه السبعة رائد هذه المرحلة الجديدة من التأليف، بما انطوى عليه من دعوة صريحة لتمييز وفرز القراءات.

فقد ألف ابن غلبون الحلبي (ت 399هـ)، كتاب (التذكرة في القراءات الثمان)، وألف كتاب (الكفاية في القراءات الست). ويعتبر ابن مجاهد المؤسس الأول لهذه المرحلة، إن لم نقل هو الواضع الأول لأساسيات هذا العلم برمته.

فلم يكن كتابه "السبعة" مجرد مؤلف انتقى قراءات الأمصار فحسب، وإنما كان نقطة البداية نحو التوجه الجاد الذي قاد التأليف في القراءات نحو التطور الحقيقي.

وبهذا فتح ابن مجاهد المجال لمرحلة أخرى من التأليف، تميزت بالجدة والصرامة، وتعرضت لنقد القراءات وكشف الصحيح من الضعيف والمتواتر من الشاذ، مع الانتصار للقراءات الصحيحة بنوع آخر من المؤلفات، التي تصدت لمن يُضعف بعض القراءات من علماء النحو واللغة، سمّي بعد ذلك بتوجيه القراءات.

2.14.3. المرحلة الثالثة مرحلة التحقيق.

وتُعد هذه المرحلة من أتقن مراحل التأليف في القراءات، وقد اعتمدت على التحقيق والدراسة الإستقرائية الشاملة لكافة الروايات والطرق والمؤلفات، حتى صاغت الصورة الصحيحة لهذا العلم،

وصانت بذلك القراءات القرآنية من التشكيك والوضع والعبث، ولم تقتصر على خدمة القراءات السبع وحدها فحسب، بل أخرجت القراءات الصحيحة التي لم يذكرها ابن مجهد زيادة على القراءات السبع وهي: قراءة أبي جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف.

ويمكننا حصر مؤلفات هذه المرحلة في ثلاثة أقسام:

2. 14. 3. 1. القسم الأول مؤلفات خدمت القراءات السبع ومنها:

- كتاب السبعة بعلمها الكبير: ألفه محمد بن الحسن الأنصاري المتوفى سنة (351هـ).
- كتاب السبعة بعلمها الكبير: ألفه أبو بكر العطار المتوفى سنة (362هـ).
- كتاب السبع بعلمها الأوسط: لأبي بكر العطار.
- كتاب الحجة في القراءات السبع: ألفه الحسين بن أحمد بن خالويه المتوفى سنة (370هـ).
- كتاب الحجة في علل القراءات السبع: لأبي علي الفارسي المتوفى سنة (377هـ).
- كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: لمكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ).
- التيسير في القراءات السبع: لأبي عمرو الداني (ت 444هـ).
- جامع البيان في القراءات السبع: لأبي القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر ابن الفحام الصقي المتوفى سنة (53هـ).
- الإقناع في القراءات السبع: لابن الباذش (ت 540هـ).
- حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع الموسوم بالشاطبية متن للقراءات السبع للإمام الاطبي (ت 590هـ)، ألفه نظماً لكتاب التيسير للداني، ويعتبر المرجع الأمي للقراءات السبع.
- كتاب إبراز المعاني من حرز الأمانى: ألفه عبد الرحمن أبي شامة المتوفى سنة (665هـ).
- الشرعة في القراءات السبعة: ألفه شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم ابن البارزي، المتوفى سنة (738هـ).

- القصيدة العلوية في القراءات السبع المروية: لأبي البقاء علي بن عثمان بن محمد ابن القاصح العدري المتوفى سنة (801هـ).

- الكامل في القراءات السبع: لأبي القاسم يوسف بن جبارة الأندلسي.

- المقنع في القراءات السبع: لأحمد بن محمد بن خلف بن محرز المالكي الشاطبي.

2. 3. 14. 2. القسم الثاني مؤلفات خدمت القراءات العشر:

- المنتهى في القراءات العشر: لأبي الفضل الخزاعي (ت 408هـ).

- الواضح في القراءات العشر: ألفه أحمد بن رضوان الصيدلاني (ت 432هـ).

- كتاب المفيد في القراءات العشر: لأبي نصر أحمد بن مسرور البغدادي (ت 442هـ).

- التذكار في القراءات العشر: لأبي الفتح بن شيطا البغدادي (ت 445هـ).

- المهذب في القراءات العشر: لأبي المنصور محمد بن أحمد بن علي الخياط (ت 499هـ).

- كتاب الجامع في القراءات العشر: ألفه أبو الحسين الفارسي (ت 461هـ).

- الإشارة في القراءات العشر: ألفه أبو نصر منصور بن أحمد (ت 465هـ).

- المستنير في القراءات العشر: لأبي سوار البغدادي (ت 521هـ).

- كتاب الإرشاد في العشر: لأبي العز القلانسي (ت 521هـ) وله كتاب آخر تحت عنوان: إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهي في القراءات العشر.

- كتاب الموضح في القراءات العشر: ألفه خيرون العطار (ت 539هـ).

- المفتاح في القراءات العشر: لابن خيرون أيضا.

- المصباح في القراءات العشر: ألفه أي الكرم الشهرزوري البغدادي (ت 550هـ).

- غاية الإختصار في القراءات العشر لأئمة الأمصار: ألفه العلاء حسن بن أحمد العطار الهمداني

(ت 569هـ).

- المفيد في القراءات العشر: ألفه نصر الله بن علي بن منصور بن كيال الواسطي (ت 586هـ).

- الكنز في القراءات العشر: للواسطي أيضا.

- نظم تحفة البررة في القراءات العشرة: لابن الوجيه أيضا.

- القصيدة الظاهرية في القراءات العشر: ألفه طاهر بن عربشاه الأصبهاني (ت 786هـ).

- النشر في القراءات العشر: ألفه ابن الجزري (ت 832هـ).

- تحبير التيسير: لابن الجزري أيضا.

- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ألفه سراج الدين عمر بن قاسم الأنصاري المصري، المشهور بالنشار.

- الروضة في العشر: لسبط الخياط.

2. 14. 3. 3. القسم الثالث مؤلفات خدمت القراءات الثلاث المتممة للعشرة:

- شرح الدرّة للنويري، المتوفى سنة (897هـ).

- الإيضاح للزبيدي، المتوفى سنة (848هـ).

ومن مؤلفات المتأخرين:

- شرح الدرّة للمرصفي، المتوفى سنة (1409هـ).

- شرح الدرّة للأبياري.

- شرح متن الدرّة للسمنودي.

- شرح الدرّة للضبّاع، المتوفى سنة (1380هـ).

2. 14. 3. 4. المرحلة الرابعة مرحلة التحريرات:

بدأت هذه المرحلة الصعبة بعد نشأة مرحلة التحقيق بمائة عام تقريبا، ويعد مكي بن أبي طالب القيسي وأبو عمرو الداني من رواد هذه المرحلة، وفيها تصدى العلماء لتنقيح القراءات من أخطاء

التركيب والضرب الحسابي، وذلك بتمييز كل رواية بطرقها الصحيحة، وبيان الأوجه الجائزة والواجبة والممنوعة لكل قراءة ورواية وطريق، حتى لا تختلط أوجه رواية بأوجه رواية أخرى [73]ص23.

في حين نجد علي بلعالية دومة في كتابة الموسوم بـ"المصباح المنير في علم القراءات والتجويد" [79] ص31- 42 يقسم المراحل التي مر بها تطور علم القراءات إلى قسمين أو فصلين اثنين هما:

1- فصل ما قبل التدوين

2- فصل التدوين.

ويقسم الفصل الأول إلى عدة محطات على النحو التالي:

1- مرحلة ما قبل الهجرة أي المرحلة المكية.

2- مرحلة ما بعد الهجرة.

3- مرحلة الاختلاف الذي كان سببا في التدوين.

كما نجده يقسم مراحل التدوين إلى محطات كذلك:

المرحلة الرابعة: ولم يضع لها اسما خاصا بها.

2. 14. 3. 5. المرحلة الخامسة مرحلة التدوين.

وذكر فيها أحد الأعلام الذين ساهموا في بداية تدوين علم القراءات كعلم مستقل له قوانينه وقواعده.

2. 14. 3. 6. المرحلة السادسة مرحلة التدوين في القراءات السبع.

وذكر بأنه أول من ألف في هذه المرحلة هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد التميمي البغدادي (ت 324هـ) حين ألف كتابا سماه قراءات السبعة، إلى يومنا هذا.

2. 15. ترجمة لبعض مشاهير القراء من الصحابة:

2. 15. 1. أبي بن كعب:

أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري، شهد العقبة الثانية وبايع النبي صلى الله عليه وسلم فيها، ثم شهد بدرًا وكان أحد الفقهاء وأقرأهم لكتاب الله، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أقرأ أمتي أبي"، وكان أبي بن كعب ممن كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي قبل زيد بن ثابت ومعه أيضاً، مات أبي بن كعب في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21هـ، وروى 164 حديثاً [80] ج1 ص48.

2. 15. 2. علي بن أبي طالب:

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، ولد بمكة سنة 23 قبل الهجرة، وربى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه، وولي الخلافة بعد مقتل عثمان ابن عفان (سنة 35هـ)، وأقام بالكوفة إلى أن قتل شهيداً سنة 40هـ [80] ج2 ص42، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم باجتماع أهل السنة [81] ج1 ص39. وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

2. 15. 3. عبد الله ابن عباس:

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة وفقهها وإمام التفسير، ولد بمكة سنة 3 قبل الهجرة. ولازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بهاسنة 68هـ. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم 1660 حديثاً. وقد دعا له النبي بقوله: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) [80] ج1 ص559.

2. 15. 4. عبد الله بن مسعود:

عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البصري، كان من السابقين الأولين، فقيه الأمة ومناقبه كثيرة، توفي بالمدينة سنة 32هـ، روى عن النبي 840 حديثاً [80] ج1 ص592.

2. 15. 5. عثمان بن عفان:

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين. من كبار الرجال الذين اعتز بهم الإسلام في عهد ظهوره. ولد بمكة سنة 47 ق.هـ، وأسلم بعد البعثة بقليل. وكان غنيا شريفا في الجاهلية. ومن أعظم أعماله في الإسلام تجهيزه نصف جيش العسرة بماله. وصارت إليه الخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب سنة 23هـ، وأتم جمع القرآن، قتل شهيدا سنة 35هـ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم 146 حديثا [80] ج2 ص11.

وكان من كتّاب الوحي، وقد استعان به الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك كثيرا، كما استعان به في السفارات، وهو من أعضاء الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب خليفة فيهم. [82] ص. 1187

2. 15. 6. أبو بكر الصديق:

أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر ابن كعب التيمي القرشي، أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال، ولد بمكة سنة 51 ق.هـ، ونشأ سيدا من سادات قريش، وغنيا من كبار موسريهم، وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال، وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سنة 11هـ، فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة. وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق. مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، وتوفي في المدينة سنة 13هـ. له في كتب الحديث 142 حديثا [80] ج1 ص577.

2. 15. 7. عمر بن الخطاب:

عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص: ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمر المؤمنين، ولد سنة 40 ق.هـ، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، وله السفارة فيهم، ينافر عنهم وينذر من أرادوا إنذاره. وهو أحد العمرين اللذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحدهما. أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع، وولي الخلافة بعد أبي بكر، وتوفي شهيدا سنة 23هـ [80] ج2 ص74.

2. 15. 8. عبد الله بن عمر:

عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن: صحابي جليل، نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ومولده فيها سنة 10 ق.هـ، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة سنة 73هـ. له في كتب الحديث 2630 حديثاً [80] ج1 ص569.

2. 15. 9. عبد الله بن عمرو بن العاص:

عبد الله بن عمرو بن العاص، صحابي جليل، من النساك، من أهل مكة، ولد سنة 7 ق.هـ، وكان يكتب في الجاهلية، ويحسن السريانية. وأسلم قبل أبيه. فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يكتب ما يسمع منه، فأذن له. وكان كثير العبادة، ولاء معاوية الكوفة مدة قصيرة، وتوفي سنة 65هـ، له 700 حديثاً [80] ج1 ص573.

2. 15. 10. أبو الدرداء:

أبو الدرداء عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي: صحابي، من الحكماء الفرسان القضاة. كان قبل البعثة تاجراً في المدينة، ثم انقطع للعبادة. ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك. وولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب، وهو أول قاض بها. وهو أحد الذين جمعوا القرآن، حفظاً، على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف. مات بالشام سنة 32هـ، وروى عنه أهل الحديث 179 حديثاً [80] ج2 ص112.

2. 16. 1. ترجمة القراء السبعة ورواتهم:**2. 16. 1. الإمام نافع:**

عادة المترجمين للقراء السبعة البدء بالإمام نافع رحمه الله، ولأسباب منهجية سنترك ترجمته إلى موضع لاحق.

2. 16. 2. الإمام أبو عمرو البصري:

زيان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء: من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة (70 – 154 هـ). [78] ج1 ص276.

وله راويان هما:

2. 16. 2. 1. الدوري:

حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدي الدوري، أبو عمر: إمام القراءة في عصره. كان ثقة ثبتاً ضابطاً. له كتاب (ما اتفقت ألفاظه ومعانيه من القرآن)، وهو أول من جمع القراءات. وكان ضريراً. نسبته إلى (الدور) (محلة ببغداد) ونزل سامراء. توفي سنة [78]246 ج1 ص112.

2. 16. 2. 2. السوسي:

صالح بن زياد السوسي الرقي، أبو شعيب: إمام مقرئ ضابط للقراءات محدث، من أجل أصحاب اليزيدي، ولد سنة 173 وتوفي سنة [78]261 ج1 ص147.

2. 16. 3. ابن عامر اليحصبي:

عبد الله بن عامر بن زيد، أبو عمران اليحصبي الشامي: أحد القراء السبعة. ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك. ولد في البلقاء سنة 21، في قرية " رحاب " وانتقل إلى دمشق، بعد فتحها، وتوفي فيها سنة 118. قال الذهبي: مقرئ الشاميين، صدوق في رواية الحديث [78] ج1 ص188.

2. 16. 3. 1. هشام:

هشام بن عمار بن نصير، ابن ميسرة السلمي، أبو الوليد: قاض، من القراء المشهورين. من أهل دمشق. قال الذهبي: خطيبها ومقرئها ومحدثها وعالمها. وتوفي فيها سنة. وكان فصيحاً بليغاً. له كتاب " فضائل القرآن " [78] ج1 ص433.

2. 16. 3. 2. ابن ذكوان:

ابن ذكوان عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الفهري الدمشقي، أبو عمرو: من كبار القراء، لم يكن في عصره أقرأ منه. ولد سنة 173 وتوفي في دمشق سنة [78]242 ج1 ص179.

2. 16. 4. الإمام عاصم بن بهدلة أبي النجود الأسدي:

عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي الأسدي بالولاء، أبو بكر: أحد القراء السبعة. تابعي، من أهل الكوفة، ووفاته فيها سنة 128. كان ثقة في القراءات، صدوقاً في الحديث. قيل: اسم أبيه عبيد، وبهدلة اسم أمه [78] ج1 ص153. وقال القاضي: « توفي سنة سبع وعشرين ومائة بالكوفة » [83] ص19، وقيل سنة ثمان وعشرين ومائة [84] ص51.

2. 16. 4. 1. حفص:

حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي بالولاء، أبو عمر، قارئ أهل الكوفة، نزل بغداد، وجاور بمكة. وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته، وهو ابن امرأته وربيبه، ومن طريقه قراءة أهل المشرق، ولد سنة 90 وتوفي سنة 180 [78] ج1 ص111.

2. 16. 4. 2. شعبة:

شعبة بن عياش بن سالم الأزدي الكوفي الخياط، أبو بكر: من مشاهير القراء. كان عالماً فقيهاً في الدين. ولد سنة 95، وتوفي في الكوفة سنة 193 [78] ج1 ص144.

2. 16. 5. حمزة بن حبيب الزيات:

حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، التيمي، الزيات: أحد القراء السبعة. كان من موالى التميم فنسب إليهم. وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ويجلب الجبن والجوز إلى الكوفة. ولد سنة 80 ومات بحلوان سنة 156. كان عالماً بالقراءات، انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول [78] ج1 ص115.

2. 16. 5. 1. خلف:

خلف بن هشام البزار، الأسدي، أبو محمد البغدادي النحوي: أحد القراء العشرة. كان عالماً عبداً ثقة، ولد سنة 150 وتوفي سنة 229 [78] ج1 ص120.

2. 16. 5. 2. خلاد:

خلاد بن خالد الشيباني الكوفي، مولاها، الصيرفي: من كبار القراء. قال ابن الجزري: كان إماماً في القراءة ثقة عارفاً محققاً مجوداً أستاذاً. توفي في الكوفة سنة 220 [78] ج1 ص120.

2. 16. 6. الإمام الكسائي:

الكسائي علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة، ولد في إحدى قرى الكوفة، وتعلم بها. وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، سنة 189. له تصانيف، منها "معاني القرآن" [78] ج1 ص239.

2. 16. 1. الليث:

الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي ثقة معروف حاذق ضابط، عرض على الكسائي وهو من جلة أصحابه ، توفي سنة 240[78]ج1ص.290

2. 16. 2. الدوري: سبقت ترجمته.**2. 16. 7. عبد الله بن كثير:**

عبد الله بن كثير الداري المكي، أبو معبد: أحد القراء السبعة. تابعي، كان قاضي الجماعة بمكة. وكانت حرفته العطارة. ويسمون العطار " داريا " فعرف بالداري. وهو فارسي الأصل. مولده ووفاته بمكة (45 – 120) [78]ج1ص197.

2. 16. 1. البزّي:

أحمد بن محمد بن عبد الله البزّي، أبو الحسن: من كبار القراء. من أهل مكة، ووفاته فيها. قال ابن الجزري: أستاذ محقق ضابط متقن. وأورد بعض أخباره. وعرفه ابن الاثير في اللباب بصاحب قراءة ابن كثير. وكان ضعيفا في الحديث. ولد سنة 70، وتوفي سنة 243[78]ج1ص.51

2. 16. 2. فُنْبِل:

محمد بن عبد الرحمن بن محمد المكي المخزومي بالولاء، أبو عمر، الشهير بقنبل: من أعلام القراء. كان إماما متقنا، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز في عصره، ورحل إليه الناس من الأقطار. وولي الشرطة بمكة، وكان لا يليها إلا أهل العلم والفضل، كما يقول ياقوت. ولد سنة 195، وتوفي سنة 291[53]ج6ص.190

2. 17. 17. ترجمة بعض مشاهير علم القراءات بأفريقيّة:**2. 17. 1. الإمام أبو عمرو الداني:**

عثمان بن سعيد بن عثمان، ويقال له ابن الصيرفي، من موالي بني أمية: أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره. من أهل دانية بالأندلس. دخل المشرق، فحج وزار مصر، وعاد، ولد سنة 371، وتوفي في بلده سنة 444. له أكثر من مئة تصنيف، منها " التيسير في القراءات السبع " [78]ج1ص.225

2. 17. 2. الإمام الشاطبي:

القاسم بن فيره (بكسر الفاء وبعدها ياء تحتية ساكنة ثم راء مشددة مضمومة بعدها هاء) [83] ص1. بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي: إمام القراء. كان ضريرا. ولد بشاطبية (في الأندلس) سنة 538، وتوفي بمصر سنة 590. وهو صاحب " حرز الأمانى ووجه التهاني " في القراءات العشر، تعرف بالشاطبية، وكان عالما بالحديث والتفسير واللغة، والرعيني نسبة إلى ذي رعين أحد أقبال اليمن [78] ج1 ص284.

2. 17. 3. العلامة ابن بري:

علي بن محمد بن الحسين الرباطي، أبو الحسن، المعروف بابن بري: عالم بالقراءات، من أهل تازة. ولي رئاسة ديوان الإنشاء فيها. ولد نحو سنة 660 وتوفي سنة 730، من كتبه " الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع " أرجوزة في القراءات [53] ج5 ص5.

2. 18. 2. التعريف بالإمام نافع (رضي الله عنه):

2. 18. 1. اسمه ونسبه:

هو أحد الأئمة الأعلام، الثقة الصالح الإمام، أحد القراء السبعة، نافع بن عبد الرحمان ابن أبي نعيم مولى جَعَوْنَةَ بن شَعُوب اللِّيْثِي حليف حمزة بن عبد المطلب أصله من أصبهان [78] ج2 ص330.

2. 18. 2. كنيته:

يكنى بأبي رويم وهو القول الأشهر، ويُقال أبو نعيم، ويُقال أبو الحسن، وقيل عبد الله، وقيل أبو عبد الرحمان [78] ج2 ص330.

2. 18. 3. ميلاده:

ولد رضي الله عنه في حدود سنة 70 للهجرة [59] ج1 ص112.

2. 18. 4. شيوخه:

أخذ القراءة عن جماعة من تابعي أهل المدينة، منهم عبد الرحمان بن هرمز الأعرج، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ، وشيبة بن نصاح القاضي [78] ج2 ص330، وأبو روح يزيد بن رومان، ومسلم بن

جندب الهذلي القاضي، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وصالح بن خُوَّاب والأصمغ بن عبد العزيز النحوي، وعبد الرحمان بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

قال أبو قرّة موسى بن طارق: (سمعت نافعاً يقول: قرأت على سبعين من التابعين) [78] ج2 ص330.

أما أبو جعفر وابن هرمز فقراً على عبد الله بن عباس وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي وأبي هريرة [59] ج1 ص112، وقرأ شيبه على عبد الله بن عياش وسمع من عمر بن الخطاب، كما قرأ على عبد الله بن عباس وأبي هريرة.

وقرأ مسلم بن جندب وابن رومان علي عبد الله بن عياش، وعبد الله بن عباس وأبي هريرة.

وقرأ صالح ابن خوان على أبي هريرة، وقرأ الزهري على سعيد بن المسيب وقرأ سعيد ابن المسيب على عبد الله بن عباس وأبي هريرة، وقرأ عبد الله بن عباس على أبي كعب، وزيد بن ثابت، وقرأ عبد الله بن عياش وأبو هريرة على أبي بن كعب وقرأ أبي بن كعب وزيد ابن ثابت وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم [59] ج1 ص112.

2. 18. 5. الرواة عن نافع:

روي أنه قرأ عليه مائتان وخمسون رجلاً [85] ص112.

أما من أهل المدينة فإسماعيل بن جعفر، وعيسى بن وردان، وسليمان بن مسلم بن جمّاز، ومالك بن أنس، وهؤلاء من أقرانه، ثم إسحاق بن إسماعيل المتقدم، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، وعيسى بن مينا قالون، وسعد بن إبراهيم، وأخوه يعقوب، ومحمد بن عمر الواقدي، والزبير بن عامر، وخلف بن وضّاح، وأبو الذكر محمد بن يحيى، وأبو العجلان، وأبو غسان محمد بن يحيى بن علي، وصفوان، ومحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن وهب.

ومن أهل مصر: موسى بن طارق أبو قرّة اليماني، وعبد الله بن قريب الأصمعي، وخالد بن مخلد القطواني، وأبو عمرو بن العلاء وأبو الربيع الزهراني، وخارجة بن مصعب الخراساني، وخلف بن نزار الأسلمي، وسقلاب بن شيبه، وعثمان بن سعيد ورش، وعبد الله بن وهب، معلى بن دحية، والليث بن سعد، وأشهب بن عبد العزيز وحמיד بن سلامة.

ومن أهل الشام: أبو مسهر الدمشقي، والوليد بن مسلم، وعراك بن خالد، وخويلد بن معدان، وعتبة بن حماد الشامي.

ومن غير هذه الأمصار: كردم بن خالد المغربي، وأبو الحارث (شيخ يروي عنه أو عمارة الأحول)،
وعبد الله بن إدريس الأودي، والغازي بن قيس الأندلسي، وأبو بكر القورسي ومحمد القورسي [78] ج2
ص231.

ونخص راويان بالترجمة هما:

أ- قالون: عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى المدني الزرقي، مولى الأنصار، أبو موسى: أحد
القراء المشهورين. من أهل المدينة، مولدا ووفاة. انتهت إليه الرياسة في علوم العربية والقراءة في
زمانه بالحجاز. وكان أصم يقرأ عليه القرآن وهو ينظر إلى شفتي القارئ فيرد عليه اللحن والخطأ. و"
قالون " لقب دعاه به نافع القارئ، لجودة قراءته، ومعناه بلغة الروم جيد. توفي سنة
128 [78] ج1 ص274.

ب- ورش: عثمان بن سعيد بن عدي المصري: من كبار القراء، غلب عليه لقب "ورش" لشدة
بياضه. أصله من القيروان، ومولده ووفاته بمصر (110 - 197) [78] ج1 ص224.

2. 18. 6. صفته:

كان رضي الله عنه أسود اللون حالكاً صبيح الوجه حسن الخلق فيه دعابة [78] ج2 ص330

2. 18. 7. فضائله:

نافع من الطبقة الثالثة بعد الصحابة من القرون المشهود لهم بالخير، أقرأ القرآن دهرًا طويلاً يزيد عن
سبعين سنة، وانتهت إليه رياسة الإقراء بالمدينة المنورة.

أجمع الناس عليه بعد شيخه أبي جعفر، كان رضي الله عنه عالماً صالحاً خاشعاً مجاباً في دعائه إماماً
في علم القرآن والعربية، صلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين سنة [85] ص12.

روي عنه أنه كان إذا تكلم يُشم من فيه رائحة المسك، فقيل له يا أبا عبد الله أو يا أبا رويم تنطيب كلما
قعدت تقرئ الناس؟ قال: لا أمس الطيب ولا أقرب طيباً ولكنني رأيت فيما يرى النائم النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يقرأ في فيّ، وفي رواية يتقل في فيّ فمن ذلك الوقت أشم من فيّ هذه الرائحة [78]
ج2 ص332.

وقال المسيبيُّ: قيل لنافع ما أصبح وجهك وأحسن خلقك قال: فكيف لا أكون كذلك وقد صافحني رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعليه قرأت القرآن (يعني في النوم) [78] ج2 ص332.

ورُوي عن نافع أنه قال: كنتُ أقرأ جالساً فمر بي عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فقال: يا ابن أخي متى تقرأ قائماً إذا كبرت، إذا سقمت؟ قال: فما قرأت بعد ذلك قاعداً إلا خيّل لي أنه تمثّل بين عيني [78] ج2ص333

2. 18. 8. ثناء العلماء عليه:

قال أبو عبيد: وإلى نافع صارت قراءة أهل المدينة وبها تمسكوا لى اليوم، وقال ابن مجاهد: وكان الإمام الذي قام بالقراءة بعد التابعين بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم نافع، وكان عالماً بوجوه القراءات منبعا لآثار الأئمة الماضين ببلده، وقال سعيد بن منصور: سمعتُ مالك بن أنس يقول: قراءة أهل المدينة سنة، قيل: قراءة نافع؟ قال: نعم [78] ج2ص331.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي أي القراءة أحب إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة، قلت فإن لم يكن، قال: قراءة عاصم [78] ج2ص332.

وقال قالون: كان نافع من أظهر الناس خلقاً ومن أحسن الناس قراءة وكان زاهداً جواداً صلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين سنة. وقال الليث بن سعد: حججت سنة ثلاث عشرة وإمام الناس في القراءة بالمدينة نافع.

وقال الأمشر: كان نافع يسهّل القرآن لمن قرأ عليه إلا أن يقول له إنسان أريد قراءتك.

وقال الأصمعي: قال لي نافع: تركت من قراءة أبي جعفر سبعين حرفاً، وقال مالك لما سأل نافعاً عن البسملّة: سلوا عن كل علم أهله، ونافع إمام الناس في القراءة،

قال ابن برّي في مطلع منظومته:

من نظمٍ مقرّاً الإمام الخاشعِ ❀❀ أبي رويم المدني نافع.
إذا كان مقرّاً إمام الحرم ❀❀ الثّبت في ما قد روي المقدم.
وللذي ورد فيه أنه ❀❀ دون المقارىء سواه سنة [85] ص11-13.

وقال الشاطبي في الحرز:

فأما الكريم السرّ في الطيب نافع ❀❀ فذاك الذي اختار المدينة منزلاً.
وقالون عيسى ثم عثمان ورشهم ❀❀ بصحبته المجد الرفيع تأثلاً [87] ص5.

2. 18. 9. اشتغاله بالحديث:

قرأ رضي الله عنه الموطأ على مالك بن أنس [85] ص12، فمالك شيخ نافع في الحديث ونافع شيخه في القراءة، كان رضي الله عنه قليل الحديث مع أنه روى عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر، وروى عن الأعرج عن أبي هريرة وجماعة، ولكنه تصدى للإقراء ولم يخرج له شيء في الكتب الستة، قال ابن عدي: لنافع عن الأعرج نسخة مائة حديث وله نسخة أخرى أكثر من مائة حديث عن أبي الزناد عن الأعرج، وله في التفاريق قدر خمسين حديثاً أيضاً، ولم أر له حديثاً منكراً وأرجو أنه لا بأس به.

قال يحيى بن معين: ثقة، قال النسائي: لا بأس به وقال ابن أبي حاتم: صدوق ولينّه أحمد [78] ج2 ص333.

2. 18. 10. وفاته:

توفي رضي الله عنه سنة 169 هجرية [78] ج2 ص334 عن 99 سنة في خلافة الهادي على الأصح، وقيل غير ذلك.

روي عن محمد بن إسحاق قال: لما حضرت نافعاً الوفاة قال له أبنائوه أوصنا، قال: (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) [42] سورة الأنفال، الآية: 1؛ [78] ج2 ص333.

2. 19. خلاصة:

لقد توضح لقارئ هذه الصفحات أنّ القراءات القرآنية ديوان حافل باللهاجات والتعاريف والمصطلحات التي تفنن في وضعها أهل القرآن، وأن هذه القراءات قد وصلت إلينا عبر أوثق طرق النقل التي عرفتھا الإنسانية جمعاء فكانت بذلك وسيلة رفيعة لحفظ كلام رب العالمين، تجلت من خلالها مشيئته وحكمه سبحانه مَنْ أقرَّ من عليائه أنه هو من سيحفظ هذا الكتاب حين قال جلَّ وعلا: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [سورة الحجر: 9] فنسب حفظ هذا الكتاب لذاته سبحانه من خلالها قدرة الله على حفظ كلامه ومعجزته الكبرى لخاتم أنبيائه وأصفيائه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

وسأحاول في الفصل الثالث أن أخلص إلى أهم الملامح الصوتية التي ظهرت في قراءة الإمام نافع- رحمه الله تعالى- من خلال رواية الإمام ورش وعبر أحد الطرق التي وصلت روايته إلينا عبرها وهو الإمام أبي يعقوب الأزرق رحمهم الله تعالى جميعاً. وبه نتم فصول هذا البحث كفصل تطبيقي يجمع بين مادتي الفصلين الأولين حتى نجمع بينهما وتتم بذلك الفائدة إن شاء الله تعالى.

الفصل 3 الملاحح الصوتية في رواية ورش

1.3. تمهيد:

لقد اعتنى العرب باللغة العربية منذ فجر الإسلام وكان الباعث الأول على هذا الاهتمام الذي يعد منقطع النظير هو الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن والتحريف، وعلى الرغم من صفاء سليقتهم العربية وبعدهم عن اللحن إلا أنه بعد أن انتشر الإسلام في بلاد كثيرة مجاورة لجزيرة العرب حيث اختلط الدعاة العرب بغيرهم ممن دخل الإسلام وتعلم مع الدين لغته سُمع بعض مظاهر اللحن في القرآن، مما دعا أولئك الغيورين إلى المسارعة في وضع السياج والحيلولة بين القرآن وهذه المظاهر فاهتموا باللغة انطلاقاً من اهتمامهم بالقرآن الكريم ومن ذلك ما كان من صنيع أبي الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز ويحيى بن يعمر وأبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب حتى انتهت السلسلة إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي الواضع الحقيقي لأكثر من علوم اللغة.

وقد اهتم العرب بالدراسة الصوتية من جانبين هما:

1- دراسة الأصوات مجردة (دراسة الصوت منفرداً).

2- دراسة الأصوات من خلال الظواهر الصوتية المختلفة.

أما علماء التجويد فقد زادوا من العناية في الدراسة الصوتية بدءاً بجانبها الأول وانتهاءً بجانبها الثاني، و قد أتوا على ما سبق أن قاله علماء اللغة و أضافوا مزيداً من العناية في بعض الظواهر الصوتية مدفوعين لذلك بكثرة الأمثلة القرآنية و تعدد وجوه القراءة. و قد أثرى التطبيق على القراءات في مدارسها الدراسة الصوتية النظرية، كما عزز علماء التجويد بما وصلوا إليه هم و اللغويين من دراسة الأصوات بمزيد من التطبيق على كتاب الله، فإذا عرفنا أن القراءة سنّة متبعة، و أن التلميذ (المتلقي) يأخذها بنطقها الصحيح بعد تعلم أحكامها نظرياً من معلم (الشيخ) إلى أن تنتهي السلسلة بمحمد صلى الله عليه و سلم إلى الأمين جبريل إلى ربّ العزة تقدست أسماؤه عرفنا أن الخدمة التي يقدمها علماء التجويد و قراء القرآن للغة عامة و للأصوات خاصة لا يعدلها خدمة فقد جمعت إلى حفظها للأصوات ومستواها الثقة في روايتها ونقلها، و أصبحت المادة العلمية التي دونوها و توصلوا إليها خير معين لدارسي الأصوات عامة والأصوات العربية خاصة.

و في هذا الفصل بإذن الله تعالى سنعرض لنموذج من هذه الجهود ممثلاً في رواية قرآنية معتمدة في بلاد المغرب خاصة و هي رواية ورش عن الإمام نافع- رضي الله عنهما- من طريق أبي يعقوب الأزرق. محاولين تتبع أهم خصائصها الصوتية كما أوردتها الرواة والنقل، وهذا في محاولة لاستجلاء أهم الملامح الصوتية التي تطبع هذه الرواية وتميزها عن غيرها من الروايات الأخرى سائلين الله تعالى أن يمدنا بعون منه هو حسبي ونعم الوكيل.

3.2. ترجمة الإمام ورش- رحمه الله:-

هو الإمام عثمان بن سعيد بن عدي بن غزوان بن داود بن سابق القبطي، أبو سعيد المصري. ولد سنة عشر ومائة بمصر، ونشأ على مائدة القرآن الكريم، فأتقن حفظه وتجويده؛ وأحكم سوره وآياته، حتى نبغ في أهل بلده.

ولم يطل العهد حتى تخصص في العربية فأتقنها، وعلم أسرارها وتفنن في أبوابها وتفرعاتها.

ولقد عاش ورش شبابه في مصر، ولم يكن آنذاك يعلم شيئاً عن شيخ القراء في المدينة نافع بن رويم، لأن نافعاً لما تصدر للإقراء كان ورش قد بلغ التاسع عشر، ومع مرور الوقت كانت قوافل العائدين من الحج والعمرة تلهج بالثناء على مقرئ المدينة، وحلقته المشهودة، ولعل ورشاً قد شدته تلك الأنباء، وأصبح يأمل أن يوفق في القراءة على شيخ المدينة وعالمها، فكانت قناعته بضرورة الرحيل إليه تزداد عاماً بعد عام، وموسماً بعد موسم، إلى أن عزم على شد الرحال، فنوى، وتوكل.

3.2.1. رحلته إلى المدينة:

في سنة خمس وخمسين ومائة، رحل ورش إلى المدينة النبوية وكان عمره آنذاك خمس وأربعون سنة، أي بعد تصدُر نافع للقراءة بستّ وعشرين سنة، وهي السنة التي ذاع صيت نافع في الآفاق، وازدحم حوله أهل المدينة من أبناء المهاجرين والأنصار، وغيرهم من القادمين من سائر الأقطار والأمصار.

وفي المدينة قصد ورش حلقة نافع لغرض القراءة عليه، فلما وصل، فاجأه ما وجد في حلقة نافع من كثرة ازدحام القراء في حلقة وحاول الوصول إليه فلم يقدر، فذهب إلى كبير الجعفريين بالمدينة فقال: «أنا من مصر، جئت لأقرأ على نافع فلم أصل إليه، وأريد أن تكون الوسيلة إليه، فأجابه إلى ذلك، فجاؤ الجعفري إلى نافع فقال له: هذا وسيلتي إليك، فجاؤ من مصر ليس معه تجارة، ولم يأت للحج، وإنما جاء للقراءة خاصة...» قال ورش: فلما كان الفجر جاء نافع، فقال: ما فعل الغريب،

فقلت: ها أنا رحمك الله، فقال: أنت أولى بالقراءة، قال ورش: فاستفتحت، فملاً صوتي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ ثلاثين آية ...».

فأعجب نافع بقراءة ورش البطيئة المتأنية، وبصوته الجميل العذب، فصار يقرؤه ويسمع منه، وقد كان نافع يُقرئ بالعرش والعشرين إلى ثلاثين آية، لكثرة الزحام في حلقة من القراء والعامّة، إلا ورشاً، فإنه كان يُقرئ خمسين آية [88] ص 10.

3.2.2. التعلُّق والمحبة:

سرعان ما نشأت بين ورش وشيخه علاقة محبة، فقد كان ورش خفيف الرُّوح، طيّب النَّفس، عظيم الحلم، كثير الخُلُق، فأحبه نافع، ولقبه بورش تحبباً لشدة بياضه، فقد كان ورش أبيضاً شديد البياض، وقيل: إن نافعاً كان يناديه بالورشان، فكان يقول: اقرأ يا ورشان، وهات يا ورشان، ثم خُفِّفَ فصار اللقب ورش. واعتز ورش بلقبه هذا، وكان يقول دائماً: أستاذي نافع سماني به فلماً حان وقت رجوعه إلى بلاده، ختم عليه ختمات، ثم رجع إلى مصر.

3.2.3. الرسالة الخالدة:

في مصر نشر قراءة نافع، وجلس للإقراء على طريفته وروايته قال الأزرق: «إن ورشاً لمّا تعمق في النحو وأحكمه، أتخذ لنفسه مقراً يُسمّى مقراً ورش» [89] ج 1 ص 373.

وإليه انتهت مشيخة الإقراء بالديار المصريّة، بعد سنوات من الإقراء والتعليم والعتاء.

وكان رضي الله عنه حجة، ثقة، حسن القراءة، جميل الصوت، يمدُّ قراءته مدّاً، وربّما تكلم في حلقة في علم النحو والعربية، لما بينها من العلاقة بالقرآن الكريم، وكانت حلقة مشهودة.

3.2.4. تلاميذه:

لم يكد الإمام ورش يجلس للإقراء حتى ذاع صيته، وانتشر ذكره في الآفاق، ولقد سعت الرُّكبان، وشدت الرِّحال إلى مصر للقراءة على الإمام ورش، والأخذ عليه، وفي حلقة تتلمذ عليه كبار المقرئين وأشهر القراء بمصر، والمغرب، والعراق، ومنهم:

- أبو يعقوب الأزرق [78] ج 2 ص 402.

- عبد الصّمد بن القاسم [78] ج 1 ص 374.

- داود بن أبي طيبة [78] ج1 ص374.

- يونس بن ميسر الصدفي [78] ج1 ص383.

3. 2. 3. الرحيل المبارك:

بقي ورش نصف عمره في القراءة والإقراء، متصدراً ومعلماً، ومهتماً بالقرآن والعربية على حدّ سواء، ومع بلوغه السابع والثمانين من العمر وافته المنية بمصر، سنة سبع وتسعين ومائة، بعدما ترك وراءه ميراثاً خالداً، وتركه غاليةً، نشرها في مصر، والمغرب كلّه (رحمه الله تعالى).

وانتشرت رواية ورش بالمغرب من طريق أبي يعقوب الأزرق، قال أبو الفضل الخزاعي: «أدركت أهل مصر والمغرب على رواية أبي يعقوب عن ورش، لا يعرفون غيرها». فكان أهل المغرب هم الورثة الأوفياء لهذه الرواية الباقية أبد الدهر، فرغم كلّ المعاناة والصّعاب بقيت بلاد المغرب ترتل القرآن، وتحفظ آياته على هذه الرواية إلى يومنا هذا.

3. 3. ترجمة الإمام أبي يعقوب بن الأزرق - رحمه الله:-

3. 3. 1. اسمه ونسبه:

هو يوسف بن عمر بن يسار أبو يعقوب المدني ثم المصري المعروف بالأزرق [78] ج2 ص402.

3. 3. 2. شيوخه:

أخذ القراءة عَرَضًا وسَمَاعًا عن ورش وهو الذي خلفه في القراءة والإقراء بمصر، وعرض على سغلاب ومعلّى بن دحية [78] ج2 ص402.

3. 3. 3. الرواة عنه:

روى القراءة عنه عَرَضًا، إسماعيل بن عبد الله النحاس ومحمد بن سعيد الأنماطي وأبو بكر عبد الله بن مالك بن سيف وهو آخرهم موتاً وموأس بن سهل [78] ج2 ص402.

وقد كان أبو يعقوب رضي الله عنه ثقة محققاً ذا ضبطٍ وإتقانٍ لزم ورشاً مدَّةً طويلةً وتلقى عنه الأداء وجلس للإقراء قال أبو الفضل الخزاعي: «أدركتُ أهل مصر والمغرب على رواية أب يعقوب عن ورش لا يعرفون غيرها».

قال الأزرق: «كنت نازلاً مع ورش في الدار فقرأت عليه عشرين ختمة من حدرٍ وتحقيقٍ، فأما التحقيق فكنتُ أقرأ عليه في الدار التي كنا نسكنها في مسجد عبد الله، وأما الحدر فكنتُ أقرأ عليه إذا ربطتُ معه بالإسكندرية، وطريقته تنفرد بتغليظ اللّامات وترقيق الرّاءات وإطالة المدود والإمالة» [78] ج2 ص402.

3.3.3. وفاته:

توفي رضي الله عنه في حدود سنة 240هـ [78] ج2 ص402.

3.4. النون الساكنة والتنوين:

3.4.1. تعريف النون الساكنة:

هي النون التي لا حركة لها، وهي الثابتة في اللفظ والخط والوصل والوقف.

3.4.2. تعريف التنوين:

هو نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم، تثبت في اللفظ لا في الخط، وفي الوصل لا في الوقف، ويدل عليها تكرار الشكل عند الضبط بالقلم [74] ص57.

3.4.3. أحكام النون الساكنة والتنوين:

للنون الساكنة والتنوين أربعة أحكام وهي:

الإظهار، والإدغام، والقلب والإخفاء.

قال سليمان الجمزوري في التحفة:

للنُونِ إنْ تُسَكَّنْ وللتنوين  أربع أحكام فخذ تبييني [90] ص25.

3.4.3. الإظهار:

وهو النطق بالنون ظاهرةً من غير إدغامٍ ولا إخفاء ولا تشديد.

وحروفه ستة هي: (الهمزة، الهاء، والحاء، والخاء، والعين، والغين) وقد جمعها بعضهم في أوائل كلمات قولك: «أخي هاك علمًا حازه غير خاسر».

قال الجمزوري:

فالأول الإظهار قبل أحرف ❖❖ لللق ست رتبت فلتعرف.
همز فهاء ثم عين حاء ❖❖ مهملتان ثم عين خاء [90]ص25.
وقال في الدرر اللوامع:

وأظهروا التنوين والنون معًا ❖❖ عند حروف العلة حيث وقعاً [85]ص108.
وقال في الشاطبية:

وعند حروف الحلق للكل أظهر ❖❖ ألا هاج حكم عم خاليه غفلاً [87]ص26.

3.4.3. الإدغام:

وهو إدخال النون الساكنة في الحرف المتحرك الموالي لها فيصيران حرفاً واحداً مشدداً.

وحروفه ستة هي: (ي، ر، م، ل، و، ن).

وهو قسمان:

أ- إدغام ناقص (بغنة): وحروفه (ي، ن، م، و).

ب- إدغام تام (بغير غنة): وحرفاه (ل، ر).

قال سليمان الجمزوري:

والثاني إدغام بستة أنت ❖❖ في يرملون عندهم قد تبتت.
لكنها قسمان قسم يدغما ❖❖ فيه بغنة بينمو علماً.
إلا إذا كان بكلمة فلا ❖❖ تدغم كدنيا ثم صنوان تلا.

والثاني إدغام بغير غنة ❀❀ في اللام والراء ثم كررته [90]ص31- 32. وقال ابن برّي:

وأدغموا في لم يرو لكنّه ❀❀ أبقوا لدى هجاء يوم غنة [85]ص109. وقال الشاطبي:

وكلهم التنوين والنون أدغموا ❀❀ بلا غنة في اللام والراء ليجملا.
 وكل بينمو أدغموا مع غنة ❀❀ وفي الواو والياء دونها خلف تلا.
 وعندهما للكلّ أظهر بكلمة ❀❀ مخافة إشباه المضاعف أثقلا [87]ص26.
3. 4. 3. الإقلاب (القلب):

3. 4. 3. 1. لغة:

تحويل الشيء عن وجهه.

3. 4. 3. 2. اصطلاحاً:

جعل حرف مكان حرف آخر، أي قلبُ النون الساكنة أو التنوين ميماً عند الباء مع مراعاة الغنة والإخفاء [74]ص62.

3. 4. 3. 3. حروفه:

له حرف واحد وهو (الباء) ويكون مع النون الساكنة في كلمة وفي كلمتين، ومع التنوين ولا يكون إلا في كلمتين.

قال الشيخ سليمان الجمزوري:

والثالث الإقلاب عند الباء ❀❀ ميماً بغنة مع الإخفاء [90]ص35.

3.4.3. الإخفاء:**3.4.3.1. لغة:**

أما الإخفاء من الناحية اللغوية فكل المعاني تدل على الستر،

3.4.3.2. اصطلاحاً:

هو النطق بالنون الساكنة أو التنوين على صفة الإظهار والإدغام مع الغنة.

3.4.3.3. حروفه:

وحروفه خمسة عشر حرفاً هي: (ص، ذ، ث، ق، س، د، ط، ز، ف، ت، ض، ظ) ويكون في كلمة وكلمتين، وقد جمعها سليمان الجمزوري في قوله:

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما ❖❖ دم طيباً زد في تقي ضع ظالماً.

قال الجمزوري في التحفة:

والرابع الإخفاء عند الفاضل ❖❖ من الحروف واجب للفاضل.

في خمسة من بعد عشر رمزها ❖❖ في كلم هذا البيت قد ضمنها.

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما ❖❖ دم طيباً زد في تقي ضع ظالماً [91]ص41.

أحكام الميم الساكنة من الجزرية:

وَحُكْمُ تَنْوِينِ وَنُونٍ يُلْفَى: ❖❖ إِظْهَارٌ، إِدْغَامٌ، وَقَلْبٌ، إِخْفَاءٌ.

فَعِنْدَ حَرْفِ الْحَلْقِ أَظْهَرُ، وَادْغَمَ ❖❖ فِي اللَّامِ وَالرَّاءِ لَا بَعْثَةَ لَزِمَ.

وَأَدْغَمَ بَعْثَةَ فِي: يُومِنُ ❖❖ إِلَّا بِكَلِمَةِ كَ: دُنْيَا عُنُونُوا.

وَأَقْلَبُ عِنْدَ أَلْبَا بَعْثَةَ، كَذَا ❖❖ الإخفاً لدى باقي الحروف أخذاً [92]ص39.

3.5. أحكام الميم الساكنة عند ورش:

3.5.1. تعريف الميم الساكنة:

للميم الساكنة عند ورش ثلاثة أحكام هي: الإدغام والإخفاء والإظهار.

3.5.2.1. الإدغام:

تدغم الميم الساكنة عند ورش إذا جاء بعدها ميم متحركة مع مراعاة الغنة والتشديد.

ومثاله: " أم مَنْ يجيب ... "، " لهم مَا يشاءون فيها ... " .

قال سليمان الجمزوري:

والميم إن تجيء قبل الهجا ❀❀ لا ألف لينة لذي الحجا.

أحكامها ثلاثة لمن ضبط ❀❀ إخفاء إدغام وإظهار فقط.

فالأول الإخفاء عند الباء ❀❀ وسمه الشفوي للقراء.

والثاني إدغام بمثلها أتى ❀❀ وسم إدغاماً صغيراً يا فتى [91]ص44.

والإدغام الشفوي هو إدغام الميم الساكنة في ميم بعدها وجوباً بحيث تصيران في اللفظ ميماً واحدة مشددة [74]ص67.

3.5.2.2. الإخفاء:

تعريفه: هو إخفاء الميم الساكنة بباء بعدها مع بقاء الغنة.

أما حروفه، فلإخفاء الشفوي حرف واحد هو الباء، فإذا وقعت الميم الساكنة ووقع بعدها الباء أخفيت هذه الميم ويسمى ذلك إخفاءً شفويًا. نحو: (يوم هم بارزون) (غافر: 16)، (وما هم بخارجين) (البقرة: 167)، (ترميهم بحجارة ...) (الفيل: 4) .

ووجه الإخفاء هنا أن الميم والباء اشتركا في المخرج وتجانسا في بعض الصفات ثقل الإظهار والإدغام المحضان فعدل عنهما إلى الإخفاء للخفة وللحفاظة على الغنة في الميم [74]ص66.

3. 2. 5. 3. الإظهار:

تظهر الميم إذا جاء بعدها أي حرف من باقي الحروف الهجائية، ومثاله: " ألم تعلم ... " ، " لم يكن ... " ويسمى ذلك إظهاراً شفويّاً، فتنتطق الميم الساكنة ظاهرةً وجوباً من غير غنة عند بقية الحروف.

أما حروفه فهي ستة وعشرون حرفاً الباقية بعد الميم والباء. وقد يكون الإظهار الشفوي في كلمة وفي كلمتين. نحو:

(يَمْشِي) (الملك: 22)، (تُمَسُونَ) (الروم: 17)، (ويمكرون) (الأنفال: 30)، (تمرحون) (غافر: 75)، (الحمد لله) (الفاتحة: 2)، (وامتازوا اليوم) (يس: 59)، (لعلمك تتقون) (البقرة: 21) إلخ.

3. 2. 5. 3. تنبيه:

يجب أن يحذر القارئ من إخفاء الميم الساكنة في حالة الإظهار خصوصاً قبل الواو، والفاء وذلك لاتحاد الميم مع الواو في المخرج ولقربها من الفاء في المخرج فيخشى إن لم يتفطن له القارئ أن يحدث إخفاء لكون المخرج يميل إلى ذلك.

قال سليمان الجمزوري:

والثالث الإظهار في البقية ❖❖ من أحرف وسمّها شفويّة.

واحذر لدى واو وفا أن تختفي ❖❖ لقرّبها ولا تحاد فاعرف [91]ص50.

3. 6. النون والميم المشدّتين:

تُعْنُ النون المشددة وكذا الميم المشددة حيث وقعتا، وتستمر الغنة مقدار حركتين تقريباً، وذلك سواء أوقعتا وسط الكلمة أم آخرها وسواء حال الوصل أو الوقف.

والغنة صفة ملازمة للنون والميم، تخرج من الخيشوم عند النطق بهذين الحرفين مطلقاً، إلا أنها لا تمد مقدار حركتين إلا عند:

- عند إدغام النون في الياء أو النون أو الميم أو الواو.

- عند إدغام الميم في الميم.

- عند إخفاء النون والميم في حروف إخفائها.

- عند قلب النون ميمًا إذا جاء بعدها الباء [93]ص51.

والغنة لغة: صوت في الخيشوم لا عمل فيه للسان.

وإصطلاحًا: هي صوت لذيق مركب في جسم النون والميم فهي ثابتة فيهما، وهي تخرج من الخيشوم.

أما الخيشوم فهو الخرق المنجذب إلى داخل الفم، وهو أقصى الأنف [74]ص70.

ومقدار الغنة حركتان، والحركة وحدة قياسية لتقدير زمن المدّ أو السكت أو الغنة، وهي زمن النطق بحرف متحرك.

3.6.1. مواضع الغنة:

1- النون والميم المشددتان تظهر فيهما الغنة قوية مثل (إِنَّا لَمَّا) (الحاقة: 11).

2- الميم الساكنة قبل الباء تُغَنّ دائماً مثل (أَمْ بِهِ جِنَّةٌ) (سبأ: 8).

3- النون الساكنة والتنوين يُغَنّان دائماً إلا إذا جاء بعدهما حرف من حروف ثمانية وهي: (الهمزة، الهاء، العين، الغين، الخاء، اللام، الراء) فإنهما حينئذ لا يُغَنّان.

3.6.2. مراتب الغنة:

للغنة أربع مراتب هي:

1- غنة أكمل ما تكون في المشدّد والمُدغم.

2- غنة كاملة في المخفي والمقلوب.

3- غنة ناقصة في الساكن المظهر.

4- غنة أنقص ما تكون في المتحرك المخفف [74]ص70-71.

قال سليمان الجمزوري:

وغن ميمًا ثم نونًا شددًا ❖❖ وسمّ كلاً حرف غنةً بدًا [91]ص54.

وقال ابن الجزري:

وأظهر الغنة من نون ومن ❖❖ ميم إذا ما شددًا [92]ص38.

وقال ابن بري:

والغنة الصّوت الذي في الميم ❖❖ والنون يخرج من الخيشوم [85]ص223.

وقال الشاطبي:

وغنةً تتوين ونون وميم إن ❖❖ سكنّ ولا إظهار في الأنف يجتلى [87]ص94.

3.7. إدغام المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين:

إذا التقى الحرفان لفظًا وخطأً، أو لفظاً فقط انقسما إلى أربعة أقسام: متماثلان، أو متقاربان، أو متجانسان، أو متباعدان، وهي ما تقتضيه القسمة العقلية، وإن كان ذكر المتباعدين لا حاجة إليه هنا، وإنما يذكر تنمة للأقسام، لأن المقصود من هذا الباب ما يجب إدغامه وما يجوز، والإدغام إنما يسوّغه التماثل والتجانس والتقارب.

قال الجمزوري:

إن في الصفات والمخارج اتفق ❖❖ حرفان فالمثلان فيهما أحق.

وإن يكونا مخرجًا تقاربا ❖❖ وفي الصفات اختلافاً يلقبا.

متقاربين أو يكونا اتفقا ❖❖ في مخرج دون الصفات حققا.

بالمجانسين ثم إن سكن ❖❖ أول كلّ فالصغير سمين.

أو حرّك الحرفان في كل فقل ❖❖ كل كبير وافهمه بالمثل [91]ص140.

3.7.1. الحرفان المتماثلان:

هما الحرفان المتحدان اسماً ورسماً (الحرف نفسه)، فإذا التقى حرفان متماثلان أولهما سكن والثاني متحرك أدغم الأول في الثاني ولا يسمع في النطق إلا حرف واحد مشدّد.

ومثاله: " اذهب بكتابي ... "، " يدرككم ... "، " فما ربحت تجارتهم ... "، " يكرههَّن ... ".

3.7.2. الحرفان المتجانسان:

هما اللذان اتحدا مخرجاً واختلفا صِفَةً فإذا التقى حرفان متجانسان أولهما ساكن والثاني متحرك فالغالب إدغام الأول في الثاني، وقد لا يُدغم.

3.7.3. الحرفان المتقاربان:

هما اللذان تقاربا صِفَةً ومخرجاً، أو صفة فقط، أو مخرجاً فقط.

وليس كل حرفين متقاربين يدغمان، وإنما يدغم ما نُضَّ عليه ونقل عن القراء إدغامه، وكذلك الحروف المتجانسة. وإليك التفصيل حسب رواية ورش:

1- حرف التاء يُدغم لورش في الدال والطاء والظاء. (التاء والدال حرفان متجانسان لاتحاد المخرج، وكذلك التاء والطاء، أما التاء والظاء فحرفان متقاربان لاختلاف المخرج).

في نحو: " أثقلت دعوا ... "، " همت طانفتان ... "، " كانت ظالمة ... "، ويظهر عند بقية الأحرف.

2- حرف الدال يدغم في التاء والضاد والظاء (الدال والضاد والظاء حروف متقاربة أيضاً. أمّا التاء والدال فمتجانسان كما سبق).

ومثاله: " لقد تقطع ... "، " لقد ضربنا ... "، " لقد ظلمك ... "، ويظهر عند بقية الأحرف.

3- حرف الدال: يدغم في الظاء نحو: " إذ ظلم ... ".

وفي التاء في لفظ الأخذ والاتخاذ وما اشتق منهما حصراً نحو: " أخذتم ... "، " اتخذتم ... " (الدال والظاء والظاء حرفان متجانسان، أما التاء والدال فمتقاربان). أما نحو: " عُدت ... "، " إذ تبرأ ... "، فليس إلا الإظهار، وتظهر عند بقية الأحرف.

4- حرف الطاء يدغم في التاء مع بقاء صفة الإطباق والاستعلاء على حرف التاء. نحو: " بسطت ... "، " أحطت ... " (التاء والطاء حرفان متجانسان، وبإدغام الطاء في التاء تذهب صفة القلقة ويبقى من صفات الطاء ما ذكر). وتظهر عند بقية الأحرف.

5- حرف اللام: يدغم في الراء(اللام والراء حرفان متقاربان) فقط، نحو: " بل ران ... " ويظهر فيما عدا ذلك.

6- حرف القاف يُدغم في الكاف(القاف والكاف حرفان متقاربان)، في قوله تعالى: " ألم نخلقكم ... " ولورش فيه وجهان كسائر القراء(ما عدا السوسي عن أبي عمرو فليس له، إلا الوجه الأول فقط وهو الإدغام المحض).

أ- الإدغام المحض: فلا يسمع إلا حرف الكاف.

ب- الإدغام الناقص، بسبب بقاء صفة الاساعلاء على الكاف. وتظهر القاف عند بقية الأحرف.

7- لام "أل التعريف": تدغم في الحروف الشمسية. نحو: "الطيب..."، "الصلاة..."، "النعمة...".

والحروف الشمسية مجموعة في أوائل البيت التالي:

طب ثم صل رحما تفرضف ذا نعم ❁❁ دع سوء ظن زُر شريفا للكرم.

وما عدا ذلك فالحروف المتقاربة أو المتجانسة، مما لم يذكر في هذا الباب فليس فيه إلا الإظهار.

وهناك بعض المواضع التي تجدر الإشارة إليها مما ينبغي الانتباه إلى إظهاره عند ورش:

1- الضاد والطاء، في نحو: " اضطرَّ " .

2- الضاد والتاء، في نحو: " أفضتم " .

3- التاء والسين، في نحو: " أنزلت سورة " .

4- اللام والنون، في نحو: " قلنا "، " جعلنا " .

5- الذال والزاي، في نحو: " إذ زينا " .

6- الذال والسين، في نحو: " إذ سمعتموه " .

7- الراء واللام، في نحو: " اغفر لنا " .

8- اللام والطاء، في نحو: " بل ظننتم " .

9- التاء والصاد، في نحو: " حَصِرَت صدورهم " .

10- الباء والميم، في نحو: " اركب معنا " .

11- التاء والذال، في نحو: " يلهث ذلك " .

3.8. التحليل الصوتي للإدغام:

إن عملية الإدغام تعد إحدى ظواهر تأثير الأصوات في بعضها البعض، حيث يؤثر الصوت فيما قرب منه مخرجاً أو صفةً فيتجاذبان و يفنى أولهما في ثانيهما إما بشكل كلي و إما بشكل جزئي، و هذا ما عبّر عنه القدامى بإدخال حرف في حرفٍ مجارٍ له، و هو ما عبرت عنه الدكتوراة آمنة بن مالك في قولها: « الإدغام ... تجاوز صوتين متقاربين أو متجانسين و فناء أحدهما في الآخر » [94] ص426.

والغرض من هذه العملية الإدغامية تيسير عملية النطق، والاقتصاد في الجهد العضلي، وذلك لأن النطق بالحرفين المتماثلين أو المتجانسين أو المتقاربين وهما متواليان يكلف اللسان جهداً وثقلاً أثناء العملية الصوتية [11] ص184.

وكان النحوي ابن جني قد أدرك هذه الحقيقة فقال: « إنهم- يعني العرب- قد علموا أن إدغام الحرف في الحرف أخف عليهم من إظهار الحرفين، ألا ترى أن اللسان ينبو عنهما نبوة واحدة نحو قولك: شُدَّ وقطع » [15] ج2 ص228.

وقد عبر سيبويه عن ذلك فقال: « كما أنهم إذا أدغموا فإنما أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد » [14] ج4 ص108. ولا يخفى أن رفع اللسان من موضع واحد أخف من رفعه من موضعين.

وتأثير الأصوات في بعضها جعل ظاهرة الإدغام إحدى مظاهر الانسجام الصوتي في اللغة العربية، ولذا أحسن الأبنية لدى العرب ما تجاوز فيه الحرفان المتباعدان في الكلمة الواحدة لتقاربهما مخرجاً [95] ص323.

وتتم هذه العملية الإدغامية بلفظ الصوتين المدغمين صوتاً واحداً مشدداً من جنس ثانيهما. وهذا يعني إفناء الصوت الأول وإدخاله في الثاني بشكل نهائي.

وذلك إن كانا متماثلين أولهما ساكن. أما إن كان الأول متحركاً فوجب تسكينه قبل الإدغام إذ لا إدغام للحركة.

قال سيبويه: « وشروط الإدغام هو أن يكون أول الصوتين ساكناً، وإن كان متحركاً فلا بد من إزالة الحركة حتى تحجز بينهما » [96]ص س.

وإذا كان الحرفان متجانسين أو متقاربين فلا بد من قلب أولهما إلى جنس الثاني ثم يسكن إن كان متحركاً وبعدها تقع عملية الإدغام.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أي صفة زائدة في الأول عن الثاني تظل محفوظة بعد عملية الإدغام وعندها يكون الإدغام ناقصاً. وذلك نحو: (أحطت) التي تدغم فيها الطاء المستعلية المطبقة في التاء المسفلة المنفتحة ويظل الحرف الناتج من خلال الإدغام- الذي هو التاء المشددة - محتفظاً بصفتي الاستعلاء والإطباق، وهذا معنى قول ابن البادش: « وكل حرف فيه زيادة صوت لا يدغم فيما هو أنقص منه صوتاً لما يلحق الإدغام من الاختلال لذهاب ما يذهب منه في الصوت » [96]ص س.

ولقد تمثلت ظاهرة الإدغام في قراءة نافع في أصولها وفرشها. فأما في الأصول فقد أدغم في قراءة نافع دال (قد) في التاء والطاء والضاد وفي الدال نفسها، لما بين الدال ونفسها من تماثل، ولما بين الدال والتاء من تجانس، ولما بين الدال والضاد والطاء من تقارب، وأظهرها مع بقية الحروف.

وأدغم اللام من (هل) و (قل) في كل من اللام نفسها، والراء لما بينها من تقارب من حيث المخرج. وأظهرها مع الحروف الأخرى. وأدغم تاء التأنيث في نفسها وفي الطاء وفي الدال. وأظهرها مع الأحرف الباقية.

وأما في الفرش فقد أدغم الباء في الميم في قوله تعالى: (ويعذب من يشاء) البقرة: 283. من رواية قالون، وكذا في قوله تعالى: (اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) هود: 42.

9.3. التفخيم والترقيق:

الحروف الهجائية من حيث التفخيم والترقيق ثلاثة أقسام [93]ص 52:

أولاً: أحرف تفخم دوماً: وهي حروف الاستعلاء السبعة. وهي: (خ، ص، ض، ط، ظ، غ، ق) وهي مجموعة في عبارة: (خص ضغط قظ).

ثانياً: أحرف تفخم وترقق: وهي الألف اللينة واللام والراء.

ثالثاً: أحرف ترقق دوماً: وهي باقي حروف الهجاء.

فأحرف الاستعلاء تفجم دوماً ولا ترقق في أي حال من الأحوال إلا أن مراتب تفخيمها متفاوتة فأعلاها إذا كان الحرف مفتوحاً بعه ألف لينية، ثم إذا كان مفتوحاً ليس بعده ألف مدّية، ثم إذا كان مضموماً، ثم إذا كان ساكناً ثم إذا كان مكسوراً وهي أدنى مراتب التفخيم، ولا يصح أن يقال: إن حرف الاستعلاء يرقق إن كان مكسوراً.

أما أحرف الاستفال وهي ما عدا أحرف الاستعلاء، فهي مرفقة دوماً ولا يصح تفخيمها، ولا يستثنى منها إلا اللام والراء والألف اللينة، فإنها تفخم أحياناً وترقق أحياناً وفق التفصيل الآتي:

3.9.1. الألف اللينة:

أي: الألف الساكنة بعد فتح.

وحكمها أنها تابعة لما قبلها فإذا سبقها حرف مفخم فحمت تبعا له وإذا سبقها حرف مرقق رقت تبعا له.

3.9.2. اللام وحكمها:

للام عند الإمام ورش أحكام نجعلها وفق التفصيل التالي:

أ- لام لفظ الجلالة (الله): ترقق إذا سبقت بكسر، نحو: (بسم الله ...) أو سكون بعد كسر نحو: (أفي الله شك ...)، أو تنوين، نحو: (أحدُ الله)، وتفخم فيما عدا ذلك مطلقاً.

ب- اللام في غير لفظ الجلالة: والأصل فيها الترقيق ولكن ورشا يغلظها إذا كانت مفتوحة وسبقت في الكلمة نفسها بأحد حروف ثلاثة: الطاء، أو الظاء أو الصاد دون فاصل، على أن تكون هذه الحروف ساكنة أو مفتوحة.

وأمثلتها: (الطَّلَق)، (ظَلَمَ)، (الصَّلَاةَ)، (يَصْلُونَهَا)، (مَطَّلَعَ الفجرَ)، (يظلمون).

ويجوز لورش الوجهان في حالتين (ولا يوجد غير هذه الأمثلة الثلاثة في القرآن في المواضع الخمسة):

- إذا حال بينها وبين ما سبقها ألف لينة مثل: (طال)، (فطال)، (أفطالَ)، (فصالاً)، (يصالحا)

- إذا وقف القارئ على اللام المتطرفة المغلطة وصلاً، نحو: (أن يوصل) بالبقرة والرعد، (ظلّ ...) بالنحل والزخرف، (فلماً فصلّ ...) بالبقرة، (وقد فصلّ ...) بالأنعام، (فصل الخطاب ...) بسورة ص، (بطل ...) بالأعراف والمقدم هو التعليل أيضاً اعتداداً بالحركة الأصلية.

وفيما عدا هذه الأحوال فليس إلا الترقيق، كسائر القراء.

وأما علة تفخيم اللام فيمكن تعليلها من خلال النقاط التالية:

أ- اشترط نافع فتح اللام لأن الفتحة أخف في عملية التغيير من الضمة والكسرة والسكون.

قال إبراهيم المارغيني: « وخصت اللام المفتوحة بالتغيير لمناسبتها لها وسهولته فيها بخلاف المضمومة والمكسورة والساكنة » [85] ص 152.

ب- واشترط سبق اللام بأحد الحروف الثلاثة لأنها أقوى الحروف حيث هي مستعلية مطبقة، وخرج من ذلك حرف الضاد على الرغم من مشاركته للحروف الثلاثة في صفتي الاستعلاء والإطباق لأن الضاد بعدت مخرجا عن اللام، وباستطاعتها مالت نحو الحروف المهموسة وهذا ما يضعفها عن مثيلاتها.

قال إبراهيم المارغيني: « ولم تعتبر الضاد الساقطة مع مشاركتها للأحرف الثلاثة في الاستعلاء والإطباق لأنها لم تقرب من اللام كقرب الأحرف الثلاثة منها مع كونها امتدت في مخرجها » [85] ص 152.

واشترط تقدم الحروف الثلاثة على اللام لأن المتقدم أكثر تأثيراً في الذي بعده من المتأخر الذي يمكن أن يعمل فيما قبله [85] ص 152.

ج- واشترط فتح الحروف الثلاثة أو سكونها لأن هذه الحروف تكون أكثر استعلاء وقوة إذا ما كانت مفتوحة أو ساكنة. قال أبو شامة: « ... فإن حرف الاستعلاء إذا انفتح أو سكن عظم استعلاؤه بخلاف إذا انكسر أو انضم » [97] ص 63.

3.9.3. الراء:

الأصل فيها الترقيق لأنها ليست من حروف الاستعلاء. ورام صاحب النجوم الطوالع [85] ص 152. الجمع بين القولين فقال بأن قول الجمهور بالنظر إلى الأصل الثاني، وقول غيرهم بالنظر إلى الأصل الأول ولا خلاف بين القولين.

وجملة أحكامها عند ورش تتلخص على النحو التالي:

3.9.3.1. الترقيق:

ترقق الراء في الحالات التالية:

- 1- إذا كانت مكسورة مطلقاً، نحو: (رجال)، (فرحين).
- 2- إذا سبقت بكسرة أصلية بكلمة واحدة وصلاً ووقفاً، نحو: (يغفرُ)، (ذو مِرَّة)، (فُرْعون).
- ولا تترقق في نحو: (أم ارتابوا)، (ارجعي)، لأن الكسرة عارضة وليست أصلية.
- 3- إذا سبقتها حرف ساكن غير (ص، ط، ق). وكان قبله كسر نحو: (إجرامي)، (عشرون)، و(الأكرام)، (إخراج).
- 4- إذا سبقت بياء ساكنة بكلمة واحدة وصلاً ووقفاً، نحو: (خبيراً)، (بشيراً)، (خيرات)، (خير).

والسكون إما أن يكون مبيّناً كما جاء في المثاليين الأولين، أو حياً كما في الثالثين الأخيرين.

5- إذا أميلت الألف بعدها، نحو: (رأى)، (نصارى)، (البشرى).

6- الراء الأولى في قوله تعالى: (بشّرَ) بالمرسلات.

3.9.3.1.1. علة الترقيق والتفخيم عند نافع:

ذكر الأئمة أن للإمام نافع أصولاً في تفخيم اللام وترقيق الراء خالف جمهور القراء في بعضها، وهذه الأصول تمثلت في كونه يرقق كل راءٍ مكسورة، أو قبلها كسر أو ياء ساكنة ولم يقع بعدها حرف مستعل، وفي كونه يفخم كل لام وقعت مفتوحة قبل الطاء أو الضاء أو الصاد إذا كانت هذه الأخيرة مفتوحة أو ساكنة.

3.9.3.2.1. علة ترقيق الراء:

ويمكن الإجابة على سبب ترقيق الراء عند نافع من خلال النقاط التالية:

أ- اشترط نافع الكسر سبباً للترقيق لأنه يقع على الحرف يجعل الحرف المستعلي في أدنى درجات التفخيم وإذا ما تحرك به الحرف المستفال زاده ترقيقاً. ولكون الراء حرفاً متردداً فإن تحريكها بالكسر يجعلها تغادر التفخيم إلى الترقيق [98]ص64.

ب- واشترط السبق بالكسر أو الياء الساكنة لأن الحرف الذي تحرك بالكسر متأثر بالترقيق لا محالة ولمجاورة الراء التي بعده أثر فيها بترقيقه، واشترط لزوم الكسر لأن الكسر العرض السابق للراء أقل تأثيراً [99]ص19. أما الياء الساكنة بأنها حرف لين غاية في الطعن فاستطاعت بضعفها أن تجذب الراء إليها فتكسبها الترقيق.

ج- وإن اشترط عدم وجود حرف استعلاء بعد الراء فيرجع عليهما وتأخذ الراء حكمه (التفخيم) لأن حروف الاستعلاء أقوى الحروف. أما بقية الحروف المستفالة المرققة فلا عبرة بها لأنها إذا لم تكن مكسورة فلم تكن في غاية الترقيق، ولذا فإن الراء لا تتأثر بترقيقها [98]ص65.

3.9.3.2. التفخيم:

تفخم الراء عند ورش في الحالات التالية:

1- إذا حال بينها وبين الكسر الذي يسبقها صاد أو طاء أو قاف نحو: (إصراً)، (وقراً)، (فطرت الله).

2- إذا جاء بعدها حرف استعلاء نحو: (مرصاداً). ولو حال بينها وبينه ألف لينة مثل: (إعراضاً)، (الصراط).

3- في الكلمات التالية حيثما وقعت:

(إبراهيم)، (إسرائيل)، (عمران)، (إرم).

وقيل بأنها أسماء غير عربية لذلك فخمت فيها الراء، أما (عزير) فمرققة الراء على وفق القاعدة لأنه اسم عربي مشتق من التعزيز.

3.9.3.3. الوجهان:

1- كل اسم على وزن (فعلاً)، لأنه راء نحو: (سترأ)، (نورأ)، (صهراً)، (إمرأ)، (حجرأ)، (ذكرأ)، ولا يوجد غيرها في القرآن كله.

2- في الكلمات التالية: (حيران)، (الاشراق)، (فرقٍ).

أما لكلمة (الاشراق) فقد اختلف فيها عند ورش حالة الوصل، والمقروء به من طريق الشاطبية هو التفخيم فقط، أما عند الوقف فليس فيها إلا التفخيم [93]ص.62

3.9.4. حكم الراء عند الوقف:

الراء إما متطرفة، وإما غير متطرفة، والأصل في النوعين ما ذكرنا إلا أن المتطرفة تختص ببعض التفصيل عند الوقف عليها.

1- عند الوقف عليها بالسكون فحكمها كمايلي:

أ- إن كان قبلها كسر أو ياء أو حرف ممال فالترقيق كحالة الوصل نحو: (من اساور)، و(وافعلوا الخير)، و(الابرار).

ب- إذا لم يوجد أحد هذه الأسباب فتتخيم سواء كانت مرققة وصللاً نحو: (القدر) أم لا نحو: (وانشق القمر).

2- عند الوقف بالإشمام: فحكمها كحكم الوقف بالسكون لأن الإشمام لا يكون إلا بعد إخلاص السكون.

والإشمام هو ضم الشفتين إشارة إلى الضمة بعد سكون الحرف الموقوف عليه من غير تصويت، ولا يكون إلا في الحرف المضموم أو المرفوع.

3- عند الوقف بالروم فحكمها كحكمها حالة الوصل، لأن الروم لا يكون إلا مصحوباً بجزء من الحركة.

وكل من الروم بالإشمام لا يكون في الحرف المفتوح أو المنصوب.

والروم هو إضعاف الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها، ويكون في المجرور والمكسور، وفي المرفوع والمفتوح.

4- كلمة (بشّر) بالمرسلات، يوقف عليها بترقيق الراء الثانية لترقيق الأولى.

5- الراء المنفصلة عن الكسرة بحرف استعلاء في غير ما كان على وزن " فعلاً " مثل (القطر)، (مصر)، فيهما الوجهان عند الوقف بالسكون.

ذكر ابن الجزري في النشر خلافاً في الوقف على الراء في قوله تعالى: (أن اسر)، (فاسر)، (إذا يسر) بين القراء، فعقب عليه المارغيني في النجوم الطوالع بقوله: « وهو عندي غير ظاهر والظاهر الوقف بالتفخيم في الكل » [85]ص.149

3.10. التحليل الصوتي للترقيق والتفخيم:

إن من الملامح التي تميزت بها قراءة نافع وانفردت بها دون غيرها من القراءات تفخيم اللام في بعض أحواله وترقيق الراء في بعض مواضعها.

وإن ظاهرتي الترقيق والتفخيم في الحروف المترددة هما لوانان من ألوان التأثير الصوتي وتقريب الأصوات بعضها لبعض، حيث يتأثر صوت الحرف المتردد بصوت الحرف المجاور له، فعلى أي صفة كان الحرف الثابت جذب إليه التردد وكساه بصفته إما تفخيماً وإما ترقيقاً.

وإذا كانت الحروف قوية وضعيفة فإن الألف لا توصف بضعف ولا بقوة حيث هو فتحة طويلة تكسب القوة والضعف من حرفها.

أما اللام فهو حرف متوسط بين الضعف والقوة، وذلك لأن صفات القوة فيه عادت صفات الضعف، إذ صفاته: الجهر والتوسط والاستفال والانفتاح.

أما الراء فهو من الحروف القوية غير أنه أضعفها، وذلك لأن صفات القوة فيه عادت صفات الضعف: الجهر والتوسط والاستفال والانفتاح والتكرار؛ ولهذا كان الأصل فيه التفخيم عند غياب المؤثر، وإن تنازع الحرف المتردد عاملان قوي يقتضي تفخيماً وضعيف يقتضي ترقيقاً فإن العبرة بما هو أكثر تأثيراً وذلك نحو (قِرْطَاس) حيث تنازع القاف المكسور الذي يقتضي ترقيقاً مع الطاء المستعلي الذي يقتضي تفخيماً فلكون الطاء أقوى كانت لها الغلبة وفخمت الراء.

وقد يضعف القوي بانفصاله كما في نحو: (فاصبر صبراً) فالراء تنازعها عامل الكسر الذي حُرِّكت به الباء والصاد المستعلية، ولكون هذا الأخير ضَعْفَ لانفصاله ووقوعه في كلمة أخرى رقت الراء. قال الدكتور عبد العزيز القاري: « وأحياناً يتنازع الحرف عاملان، أحدهما يقتضي التفخيم والآخر يقتضي الترقيق، فينظر إلى المرجحات التي ترجح أحدهما على الآخر » [100]ص.81.

وكيفية إصدار اللَّام والرَّاء مرفقتين في الجهاز الصوتي تقع بطرف اللسان على اللثة العليا ثم يسمح للهواء بأن يتسرب على إحدى حافتي اللسان اليمنى أو اليسرى، وكل ذلك مع انخفاض أقصى اللسان.

وأما تفخيمها فهو بالكيفية نفسها مع رفع أقصى اللسان على الحنك الأعلى، وكلما كان الارتفاع كانت نسبة التفخيم [35]ص 131-132.

3. 11. ياءات الإضافة وياءات الزيادة:

ياء الإضافة: هي الياء الزائدة الدالة على المتكلم الواحد، وتتصل بالأسماء والأفعال والحروف، نحو: (كتابي)، (حشرتني)، (لي).

والياءات الزوائد فهي الياءات المتطرفة التي تثبت نطقاً لا رسماً مثل: (فهو المهتد) وعادة ما يشار إليها في المصاحف الحديثة بياء صغيرة على الشكل التالي (□).

3. 12. الفرق بين الياءات الزوائد وياءات الإضافة:

1- الزوائد تكون في الأسماء نحو (الداع ع)، (الجوار ع)، والأفعال (يوم يات ع)، (يسر ع)، ولا تكون في الحروف، بخلاف ياءات الإضافة فإنها تكون في الثلاثة.

2- الزوائد محذوفة من رسم المصاحف العثمانية بخلاف الإضافة فإنها ثابتة فيها، إلا ما استثنى.

3- الزوائد اختلفت فيها القراء إثباتاً وحذفاً، أما ياءات الإضافة فخالفتهم فيها فتحاً وتسكيناً.

4- الزوائد تكون حرفاً أصلياً نحو: (الداع ع)، (يسر ع)، وتكون زائدة نحو (وعيد ع)، (نذر ع) بخلاف ياءات الإضافة فلا تكون إلا زائدة عن أصل الكلمة.

جملة ما وقع في القرآن الكريم من ياءات الإضافة مما اختلف القراء في فتحه، مائتان واثنان عشر ياء، والمسكن منها باعتبار رواية ورش أربعون لا غير.

- ومجموع الياءات الزوائد التي تزداد وصلاً وتحذف عند ورش سبع وأربعون ياءً لا غير، وليس لها قاعدة مضطردة تضبطها، وإنما تُعلم من مضائنها، ومن المصاحف المطبوعة بدقة متناهية، وفيها

الإشارة إلى الياءات الزوائد بياء صغيرة كالتي تزداد لبيان صلة هاء الضمير المكسورة وقد سبقَت الإشارة إليها.

3.12.1. ياءات الإضافة:

ياءات الإضافة باعتبار ما بعدها أربعة أقسام:

القسم الأول: ما جاء بعدها همز قطعٍ مفتوح أو مضمومٍ أو مكسورٍ، نحو (رب اجعل لي آية)، و (إني أمرتُ)، و (يدي إليك).

وحكمها: الفتح في جميع القرآن باستثناء ثمانية عشر موضعاً تُسَكَّن فيه ولا تفتح، وهذه المواضع هي:

- 1- (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) (البقرة: 40).
- 2- (فاذكروني أذكركم) (البقرة: 152).
- 3- (أرني أنظر إليك) (الأعراف: 143).
- 4- (أنظرني إلي يوم) (الأعراف: 14).
- 5- (أنظرني إلي يوم) (الحجر: 36).
- 6- (أنظرني إلي يوم) (ص: 79).
- 7- (ولا تفنّني، ألا في الفتنة سقطوا) (التوبة: 49).
- 8- (وترحمني أكن) (هود: 47).
- 9- (مما يدعونني إليه) (يوسف: 33).
- 10- (آتوني أفرغ عليه) (الكهف: 96).
- 11- (فاتبعني أهدك) (مريم: 43).
- 12- (ردّاً يصدقني) (القصص: 34).

13- (ذروني أقتل موسى) (غافر: 26).

14- (أنمّا تدعونني إليه) (غافر: 43).

15- (أدعونني أستجب لكم) (غافر: 60).

16- (وتدعونني إلى النار) (غافر: 41).

17- (وأصلح لي في ذريتي إني تبت) (الأحقاف: 15).

18- (لولا أخرتني إلى أجل قريب) (النافقون: 10).

القسم الثاني: ما جاء بعدها همز وصل مصاحب للام " أل التعريف ". نحو: (ربّي الذي)، (حرّم ربّي الفواحش).

حكمها: الفتح في جميع القرآن دون استثناء.

القسم الثالث: ما جاء بعدها همز وصل مجرد عن اللام، نحو: (إنّ قومي اتخذوا)، (لنفسي اذهب).

حكمها: الفتح في جميع القرآن، باستثناء ثلاثة مواضع بأنها تسكن فيها وفقاً لغيرها، ولكنها تحذف عند الوصل تخلصاً من التقاء الساكنين، وهذه المواضع هي:

1- (إني اصطفيتك) (الأعراف: 144).

2- (أخي أشدد) (طه: 30-31).

3- (ياليتني اتّخذتُ) (الفرقان: 27).

القسم الرابع: ما جاء بعدا غير همز من سائر الحروف. نحو: (صراطي مستقيماً)، (معي صبراً).

حكمها: الإسكان في جميع القرآن، باستثناء أحد عشر موضعاً بأنها تفتح فيها وهي:

1- (بيتي للطائفين) (البقرة: 125).

2- (وليومنوا بي لعلمهم يرشدون) (البقرة: 186).

- 3- (وجهي لله) (آل عمران: 20).
- 4- (وجهي للذي فطرني) (الأنعام: 79).
- 5- (مماتي لله) (الأنعام: 162).
- 6- (بيتي للطائفين) (الحج: 26).
- 7- (ولي فيها مآرب أخرى) (طه: 18).
- 8- (ومن معي من المومنين) (الشعراء: 118).
- 9- (مالي لا أعبد) (يس: 22).
- 10- (وإن لم تؤمنوا لي) (الدخان: 21).
- 11- (ولي دين) (الكافرون: 6).

3.12.2. اليباءات الزوائد:

اليباءات الزوائد في القرآن قسمان:

القسم الأول:

الياء فيه زائدة على أصول الكلمة، نحو: (وعيد ے)، (نكير ے)، (يهدين ے)، وهذه أيضاً تسمى ياء إضافة، ولكنها لم ترسم في المصحف الإمام، فاختلّف فيها القراء إثباتاً وحذفاً، لإسكانها وفتحاً، إلا مواضع يسيرة.

القسم الثاني:

الياء فيه من أجل الكلمة وواقعة لام الفعل نحو: (الجوار ے)، (الدّاع ے)، (المناد ے)، (يات ے)، (نبغ ے) .

ولم ترسم أيضاً في المصحف الإمام.

وكلا القسمين مختلف فيه بين القراء ورواتهم، ومجموع ما أثبتته ورش وصلاً وحذفه وقفاً، سبعة وأربعون ياء نسوقها كما ذكرها صاحب النجوم الطوالع رحمه الله:

- 1- (ومن اتبعن وقل للذين أتوا الكتاب) آل عمران: 20.
- أماً (ومن اتبعني وسبحان الله) بيوسف فياؤه ثابتة وصلاً ووقفاً.
- 2- (يوم يات لا تكلم نفس إلا بإذنه) هود الآية: 105.
- أماً (يوم ياتي بعض آيات ربك) بالأنعام فتاينة.
- 3- (لئن أخرجتن إلى يوم القيامة) بالإسراء الآية: 62.
- أماً (لولا أخرجتنني إلى أجل قريب) بالمنافقون فتاينة.
- 4- 5- (من يهد فهو المهتدي ومن يضلل ...) بالإسراء: 97، والكهف: 17.
- أماً (المهتدي) بالأعراف فتاينة.
- 6- (أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً) بالكهف: 24.
- أماً (أن يهديني سواء السبيل) بالقصص فتاينة.
- 7- (ذلك ما كنا نبغ) بالكهف: 64.
- أماً (ما نبغي هذه بضاعتنا) بيوسف فتاينة.
- 8- (أن يوتين خيراً من جنتك) بالكهف: 40. وهذه لا نظير لها.
- 9- (أن تعلمن مما علمت رشداً) بالكهف: 66، وهذه لا نظير لها.
- 10- (ألا تتبعن أفعصيت أمري) بطه وهذه لا نظير لها.
- 11- (فما آتين الله خير مما آتاكم) بالنمل: 36.
- أماً (آتيني الكتاب وجعلني نبياً) بمريم فتاينة.
- 12- (أتمدونن بمال) بالنمل: 36.
- 13- (ومن آياته الجوار) بالشورى: 32.

أمّا (الجوار) بالرحمن والتكوير، فالياء محذوفة وصلأ ووقفأ.

14- (مهطعين إلى الداع ے) بالقمر الآية: 08.

15- (واستمع يوم ينادي المناد ے من مكان قريب) بسورة ق الآية: 44.

وهذه لا نظير لها في القرآن.

16-17-18- (أكرمن ے)، (أهانن ے)، (واللليل إذا يسر ے) بالفجر الآيات: 15، 16، 4.

19- (يوم يدعو الداع ے) بالقمر الآية: 6.

20- (أجيب دعوة الداع ے) بالبقرة الآية: 186.

21- (إذا دعان ے فليستجيبوا لي) بالبقرة الآية: 186.

22- (فلا تسأن ے ما ليس لك به علم) بهود الآية: 46.

وأما (فلا تسأني عن شيء) بالكهف فثابتة وصلأ وقطعأ.

23- (تقبل دعاء ے ربنا اغفر لي) بإبراهيم الآية: 40.

وأما (فلم يزدهم دعائي إلا فراراً) بنوح فثابتة وصلأ وقطعأ.

24- (وخاف وعيد ے) بإبراهيم الآية: 14.

25-26- (وحق وعيد ے)، (من يخاف وعيد ے) بسورة ق الآيتان: 14، 45.

وليس في القرآن لفظ " وعيدي " غير هذه الثلاثة.

27-28-29-30- (نكير ے) بالحج الآية: 44، وسبأ، الآية: 45، وفاطر، الآية: 26، والملك،

الآية: 18.

31- (سواء العاكف فيه والباد ے) بالحج الآية: 25.

32- (كدت لتردين ے ولولا) بالصافات الآية: 56.

33- (يوم التلاق ے يوم هم) بغافر الآية: 15.

34- (إني أخاف أن يكذبون ے قال سنشد عضدك) بالقصص الآية: 34.

أما (إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري) بالشعراء، فياؤه محذوفة وصلماً ووقفاً.

35- (ولا ينفقون ے إني إذا) ببس الآية: 23.

36- (أن ترحمون ے) بالدخان الآية: 20.

37- (فاعتزلون ے) بالدخان الآية: 21.

38- (وجفان كالجواب ے) بسبأ الآية: 13.

39- (فستعلمون كيف نذير ے) بالملك الآية: 17.

40 -41 -42 -43 -44 -45 (عذابي ونذر ے) بالقمر، الآيات: 16، 18، 21، 30، 37، 39.

46- (بالواد ے) بالفجر

أما (بالواد المقدس) بطه، والنازعات، فإن ياءه محذوفة وصلماً ووقفاً.

47- (يوم التناد ے يوم تولون مدبرين) بغافر، الآية: 32.

3.13. خصوصية رسم المصحف وأهميته:

إن كثيراً من الأقوال والأحكام في التراث العربي القديم تستوقف الدرس الحديث، وتمده بما يجدد أنفاسه، وتوجهه إلى آفاق تستشرف المستقبل، وكأنها ابنة العصر والساعة... وإن الكتابة الصوتية لهي الكتابة العروضية في ثوب جديد، فبعد أن ظلت دهوراً لا يُؤبه بها إلا في التقطيع العروضي، ولا وزن لها في ميدان الإملاء وقواعده، أصبحت اليوم محط أنظاره ومحلّ اختيار في المجال الصوتي الإفرادي والتركيبية.

أما الرسم القرآني فشأنه أعظم والحديث عنه أغرب وأمتع، ولطالما كانت ألفاظ القرآن ومعانيه، وتناسب آياته ومبانيه حديثاً عجباً تحوطه العظمة والإعجاز ... غير أنّ رسم القرآن وإملاءه لم يحظ بتلك العناية، ولم يلتفت إلى جانب الإعجاز فيه [46]ص168-169.

وأغلب الأئمة على عدم جواز التصرف في رسم المصحف فقد روي عن أشهب أن الإمام مالك أفتى بعدم جواز مخالفة خط المصحف في شيء من واو أو ألف [50] ج1 ص379.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: « تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياءٍ أو غير ذلك » [50] ج1 ص379.

3.14. نظام المدود عند ورش:

المدُّ هو إطالة زمن جريان الصوت بحرف من حروف المد واللين وأقل زمن يستغرقه النطق بحرف من حروف المد حركتان، وتقدر بزمن النطق بحرف مرتين [93] ص85.

وتقدير الحركة قبض الإصبع وبسطه أمر لا ينضبط، ولا يصح تقديرها بالثواني أيضاً، والصواب ما ذكرناه، لانسجامه مع مراتب التلاوة، الحدر والتدوير والتحقيق.

ولا يخفى أن زمن النطق بالحرف والمدود في مرتبة الحدر أقل منه في التدوير والتحقيق، فكيف تقدر الحركة بالثواني ونحوها مما لا ينفذ بسرعة القراءة أو بطئها!؟

والمد في اللغة هو على معان منها:

أ- الجذب والمطلُّ ... فلان يُمَادُ فلاناً أي يماطلُّه ويجاذبه.

ب- التمُدُّ، كتمُدُّ السَّقاء، وكذلك كلُّ شيء تبقى فيه سعة المدِّ.

ج- الإمهالُ والتطويل، مدَّة في غيِّه، أي أمهله وطوّل له.

د- البَسْطُ والتَسْوِيَةُ، وفي التنزيل: (وإذا الأرض مُدَّتْ) أي بسطها وسوّاها.

هـ- الطُّمُوح، مدَّ بصره إلى الأمر، طمَّح به إليه، قال تعالى: (ولا تمدن عينيك).

3.15. أقسام المدود عند ورش:

تقسم المدود بالنظر إلى مقدار مدّها عند ورش إلى ما يلي:

3.15.1. المد الطبيعي:

وهو ما لا تقوم ذات الحرف إلا به ولا يتوقف على سبب من همز أو سكون، ويسمى المد الأصلي، لأن حرفه من أصل الكلمة، وإذا أهمل تغيير معنى الكلمة، لذلك فهو واجب وصللاً ووقفاً.

مثاله: (قال)، (قيل)، (يقول)، (نوحياً).

3.15.2. مد العوض:

ويكون عند الوقف على التنوين المنصوب، فيقرأ ألفاً عوضاً عن التنوين، نحو: (غفوراً) فهي تقرأ (غفوراً).

ويستثنى من هذا التاء المربوطة المنونة نحو: (رحمةً)، (ثقلاً). فإنه يوقف عليها بهاء ساكنة كالمرفوعة والمجرورة.

3.15.3. مد الصلة الصغرى:

وهو مدّ زائد بعد هاء الكناية حالة الوصل إذا لم يكن بعدها همز، وكان ما قبلها وما بعدها أيضاً متحركاً لا ساكناً، نحو: (إنه كان بعباده ے خبيراً).

ولا يستثنى لورش هنا إلا قوله تعالى: (يرضه لكم) بالزمر فإنه يقرأها بضمّ الهاء دون صلة (هاء اسم الإشارة للمؤنث (ذِه) ليست هاء كناية لكن حكمها حكم هاء الكناية في القراءة).

3.15.4. مدّ الحروف المجموعة في عبارة " حتى ظهر ":

من حروف أوائل السور مثل: (طه)، والياء من سورة (يس).

ثانيا- ما يمد ست حركات ولا ينقص عن ذلك:

1- المد الواجب المتصل: ويكون عندما يأتي بعد حرف المدّ همز في كلمة واحدة نحو: (جاء)، (تبوء)، (جيء).

2- المدّ الجائز المنفصل: ويكون عندما يأتي حرف المدّ آخر كلمة تتلوها أخرى مبتدأة بهمزة قطع حالة الوصل.

والانفصال قد يكون حقيقياً، بأن يكون حرف المدّ ثابتاً لفظاً ورسمياً نحو: (قالوا أنا)، وقد يكون حكماً بأن كان حرف المدّ ثابتاً لفظاً لا رسمياً. نحو: (يأئها)، والمدّ الأول من (هؤلاء).

ويلحق بالمنفصل ما يلي:

أ- مدّ ألف ضمير المتكلم وذلك إذا جاء بعدها همز قطع مفتوح أو مضموم، فتمدّ ست حركات، ومثاله: (وأنا أول المسلمين)، (قال أنا أحيي وأميت).

أما إذا كان بعدها غير همز، نحو: (ولا أنا عابد)، أو همزة وصل، نحو: (وأنا اخترتك)، أو همزة قطع مكسورة نحو: (إنّ أنا إلا نذير)، فلا يمد فيها أصلاً حالة الوصل.

أما عند الوقف فتمد مقدار حركتين في كل الحالات.

ب- مدّ الصلة الكبرى:

وهو مدّ هاء الكناية إذا جاء بعدها همز قطع بالشروط المذكورة سابقاً، نحو: (ولا يشرك في حكمه أحداً)، (وهو يحاور هو أنا).

ج- مدّ ميم الجمع المضمومة إذا جاء بعدها همز قطع وذلك في حالة الوصل، نحو: (إنهمو ءامنوا). أما عند الوقف فليس إلا إسكان الميم، فإذا جاء بعدها همزة وصل، فتوصل بضمّة دون مدّ أصلاً، نحو: (كُتب عليكم الصيام) [93]ص89.

3- المدّ اللازم وهو أنواع أربعة:

أ- المدّ اللازم الكلمي المثقل: وهو مدّ أصلي جاء بعده حرف مشدّد نحو: (الصّآخة)، (الطّآمة)، (الضّآلين)، (كآفة).

ب- المدّ اللازم الكلمي المخفف: وهو كالمثقل غير أنه لا إدغام للحرف الثالث في الهجاء فيما يليه، مثل: (ص)، (ق)، (م)، (لم)، (الميم والصاد من) (ألمص).

سُمّي هذا المدّ لازماً للزوم تبيينه وصلاً ووقفاً، أو للزوم مدّه عند كل القرء بمقدار مساوٍ من غير تفاوت. والله أعلم.

وسمي الكلمي كذلك لوقوعه في كلمات القرآن.

وسمي الحرفي كذلك لقوعه في حروف فواتح السور المجموعة في عبارة (نقص عسلكم).

ثالثاً- ما يجوز فيه المراتب الثلاث، القصر والتوسط والطول:

1- مدّ البدل: ويكون عند مجيء حرف المدّ بعد الهمزة في كلمة واحدة. وسواء أكانت الهمزة ثابتة أم متغيرة بتسهيل أو نقل أو إبدال، نحو: (ءامن)، (إيماناً)، (أوتوا)، (ءالهنّا)، (من ءامن)، (من السماء ءاية).

ويستثنى لورش مواضع ليس فيها إلا القصر وهي:

أ- كلمة (يواخذ) كيفما وقعت وحيثما وقعت.

ب- (عاداً الاولى) بالنجم تقرأ (عاداً لولاً) على خلاف القاعدة عند ورش.

ج- كلمة (إسرائيل) عند الوصل، أما عند الوقف فهو مدّ عارض للسكون، تجوز فيه المراتب الثلاثة كما سنوضحه في موضعه.

د- الألف المبدلة من التنوين عند الوقف عليها نحو: (هزواً)، (دعاءً)، (مأءاً).

هـ- عند وقوع ساكن صحيح قبل الهمز الذي يتلوه حرف المدّ مثل: (القرآن)، (مسؤولاً)، (الظمئان)، (مذءوما). أما عند الوقف على نحو: (القرآن)، (الظمان)، فتجوز الأوجه الثلاثة لأنه من باب المدّ العارض للسكون حينئذ.

و- كل حرف مدّ وقع بعد همز الوصل في الابتداء فقط وذلك لانعدام الهمز حالة الوصل فلا يُعْتَدُ به نحو: (يقول ايذن)، (الذي اوتمن)، (إلى الهدى ايتنا)... وهي تقرأ (يقولونذ)، (الذيتمن)، (إلى الهدى ايتنا).

2- مدّ اللين: ويكون عند الوقف على حرف قبله واو ساكنة أو ياء ساكنة فتح نحو: (قريش)، (بيت)، (خوف).

فإذا كان الحرف الذي يلي حرف اللين همز مثل: (شيء)، فلا بد من مدّه أربع حركات أو ستاً، وصلاً ووقفاً، ويمتنع القصر، وكذلك إذا كانت الهمزة وسط الكلمة مثل: (هَيْئَةً)، (سَوْءَةً)، (استيأس). ويسمى مثل هذا مما فيه همزة بعد حرف اللين: مدّ اللين الخاص بورش، وذلك لاختصاصه به من طريق الأزرق دون سائر الرواة [93] ص 95.

ويستثنى من ذلك ما يلي:

أ- كلمة (الموءودة) بالتكوير، لا تمدّ بلا خلاف.

ب- كلمة (مَوْئلاً) بالكهف لا تمدّ بلا خلاف.

ج- كلمة (سَوَّات) قيل لا تمدّ أصلاً وقيل تمدّ أربع حركات فقط. وعليه تكون أوجه قراءتها أربعة وهي:

- قصر الواو (أي عدم مدّه أصلاً) مع ثلاثة البدل.

- التوسط فيهما.

3- المدّ العارض للسكون: هو المدّ الواقع قبل الحرف الأخير الذي يقف عليه القارئ فيسكن بسبب الوقف، نحو: (الرحيم)، (المؤمنون)، (الحساب).

ويستثنى من ذلك إذا كان الحرف الأخير همزاً أو حرفاً مشدداً بأنه يلحق بنوعه كما وضحناه من قبل.

كما تستثنى الهاء المبدلة من التاء نحو: (الصلاة)، (الحياة). فإنه يوقف عليه عند بعضهم بالتطويل فقط، نظراً للزوم السكون لهذه الهاء. والجمهور على عدم التفريق بينها وبين غيرها فتبقى على الأصل [93]ص. 97.

3.16. الفتح والإمالة:

الفتح والإمالة لغتان صحيحتان، نزل بهما القرآن وقرأ بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، والجمهور على أن الفتح هو الأصل، لأن الإمالة بحاجة إلى سبب بخلاف الفتح.

جاء في كتاب الحجة لأبي علي الفارسي (ت: 377هـ) حول درجات الإمالة ما نصه:

« قال أحمد بن موسى [78]ج1ص39: كان نافع لا يميل الألف التي تأتي بعدها راء مكسورة مثل: من النار، ومن قرار، والأبرار، والاشرار، ودار البوار، والانتصار، وقنطار، ودينار، وديارهم، وعلى آثارهم، بل كان في ذلك كله بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب.

وكان ابن كثير وابن عامر وعاصم يفتحون ذلك كله.

قال أبو علي: «... وقول أحمد في حكايته عن نافع لا يميل الألف التي تأتي بعدها راء مكسورة يريد إن شاء الله لا يميل الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة فتميل الألف نحو الياء كثيراً ولكن لا يشيع إمالة الفتحة نحو الكسرة فيخف لذلك إجناح الألف و إضجاعها لأن أحمد قال بعد: كان في ذلك كله بين الفتح و الكسر وهو إلى الفتح أقرب، وإذا زال عن الفتح الخالص، كان بعض الإمالة أزيد من بعض» [95] ج1 ص173.

والفتح نوعان: شديد ومتوسط.

أ- شديد: يفتح فيه المتكلم فاه فتحاً شديداً، وهذا لا وجود له عند العرب ولا يقرأ به القرآن.

ب- متوسط: وهو المستعمل عند العرب، وهو الذي يقرأ به القرآن.

والمقصود بالإمالة: أن ينحو القارئ بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء.

وهي قسمان: كبرى وصغرى.

أ- فالكبرى (الإمالة الكبرى يعبر عنها بعضهم بالمحضة، وبعضهم بالبطح، وبعضهم بالإضجاع): تكون متناهية في الانحراف إلى الكسرة أو الياء وهذه لا وجود لها في رواية ورش إلا في الهاء من (طه) فقط على المشهور، وروي عنه فيها في بعض الطرق الفتح والإمالة الصغرى.

ب- أمّا الإمالة الصغرى أو التقليل بين بين: فهي بين الفتح المتوسط والإمالة الكبرى، وهي المروية عن ورش في القرآن كلّ وفق التفصيل الآتي:

أولاً- الألف الأصلية المتطرفة المنقلبة عن ياء تخفيفاً:

- إذا كان قبلها راء مثل (القرى)، (اشترى)، (ذكرى) فهذه تقلل وجهاً واحداً.

- وإذا كان قبلها غير راء مثل (الهدى)، (رمى)، (عسى)، (دنيا)، فهذه فيها الوجهان:

الفتح والتقليل.

ويستثنى من ذلك رؤوس الآي (رؤوس الآي التي تمال لورش وجهاً واحداً مجموعة في إحدى عشرة سورة وهي: (طه، النجم، المعارج، القيامة، النازعات، عبس، الأعلى، الشمس، الليل، الضحى، العلق)) ففيها التقليل فقط، إلا إذا اتصلت بها هاء المؤنث فالوجهان، إلا (ذكراها) فالتقليل فقط لأجل الراء.

ثانيا- الألف المتطرفة المنقلبة عن واو المرسومة ياء:

نحو: (دحيها)، (ضحى) ففيها الوجهان: الفتح، والتقليل.

يستثنى من ذلك:

1- كلمة (زكى) بالنور، فليس فيها إلا الفتح.

2- رؤوس الآي مثل (العلی)، (سجى)، ففيها التقليل فقط إلا إذا اتصلت بها هاء المؤنث ففيها الوجهان كاليائية.

ثالثاً- ما جهل أصل الألف فيه: نحو: (متى)، (بلى)، (أنى)، ففيه الوجهان. باستثناء أربع كلمات تفتح اتفاقاً وهي: (حتى)، (على)، (إلى)، (لدى).

رابعاً- الألف المتوسطة التي يليها راء متطرفة، وكانت متصلة بالألف ومكسورة كسرة إعراب فهذه تمال قولاً واحداً. ولو اتصل بالراء ضمير وميم الجمع وقفاً ووصلاً، ولو سبق الألف حرف استعلاء. ومثال ذلك (الأبرار)، (النهار)، (ديارهم)، (هار)، (أبصارهم)، (أقطارها).

يستثنى من ذلك كلمة (الجار) في موضعين بسورة النساء فيجوز فيها الوجهان.

خامساً- لفظ (الكافرين)، المنصوب والمجرور بالياء يمال بلا خلاف. وسواء وقع معرفاً أم منكرًا.

سادساً- لفظ (جبارين) يجوز فيه الوجهان.

سابعاً- لفظ (التوريه) حيث وقع وكيف وقع.

ثامناً- الحاء والراء والياء والهاء من فواتح السور تمال بين بين إلا الهاء من (طه) فقط بأنها تمال إمالة كبرى كما سبق، وإلا الياء من (ليس) فلا إمالة فيها عند الجمهور.

3.17. التحليل الصوتي للإمالة:

إن ظاهرة الانسجام الصوتي ميزت اللسان العربي أيما تميز، وتجلت هذه الظاهرة في تأثير أصوات حروف الكلمة الواحدة بعضها في بعض تفخيماً وترقيقاً، فتحاً وإمالة، إدغاماً وإظهاراً ...

وقد حاول العرب أن يتجنبوا النطق بكلمات تحتوي أصواتاً متنافرة، وكانت أحسن الأصوات عندهم المتجانسة [98]ص46.

والإمالة عندهم بنوعيهما (كبرى وصغرى) تمثل إحدى مظاهر هذا الانسجام الصوتي لدى العرب، حيث يُقَرَّبُ بها صوت الألف أو الفتحة الواقع في الكلمة لصوت الياء أو الكسرة الواقع في الكلمة ذاتها. يقول الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي: «الإمالة إنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت وذلك نحو عالم وكتاب... ألا تراك قربت فتحة العين من عالم من كسرة اللام منه» [95]ص32.

وقال الشيخ المارغيني: «والغرض الأصلي من الإمالة هو تناسب الأصوات وتقاربها لأن النطق بالياء والكسرة مستقل، وبالفتحة والألف متصل، وبالإمالة تصير الأصوات على نمط واحد من التَسْفُل والاندثار» [85]ص116.

وقال سيبويه مشيراً إلى عملية التقريب والتجانس هذه: «... وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها ليقرّبوها منها» [14]ج1ص114.

وقال محمد الأنطاكي مبيناً هذه الحقيقة: «وليست الإمالة في حقيقتها إلا شكلاً من أشكال ظاهرة التماثل، فكما اجتمعت فتحة وكسرة أثرت الأولى في الثانية فحولتها إلى إمالة...» [32]ص132.

وكيفية إصدار صوت الألف أو الفتحة الممالتين من الجهاز الصوتي تكون بإحداث صوت طليق من خلال ارتفاع مقدمة اللسان نحو منطقة الغار- أي الجوف- ارتفاعاً يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المرققة ويقل عن ارتفاعه مع الكسرة، وهذا معنى- ما جاء في التعريف- من غير إشباع مفرط وقلب خالص، وإنما بينهما. وأمّا التي أميلت بين بين فإن مقدمة اللسان ترتفع عندها إلى حد تكون فيها بين موضعها عند الإمالة الكبرى وبين موضعها عند الفتحة المرققة.

ومن هنا يمكن تقسيم الأصوات حسب ارتفاع مقدمة اللسان وانخفاضها إلى أقسام خمسة هي: الفتحة المفخمة والفتحة المرققة والإمالة (بين بين) والإمالة الكبرى والكسرة الخالصة [98]ص47.

وقد يخطئ الكثير في كيفية التصويت بالإمالة (بين بين) عندما يجعلون بين الإمالة الكبرى وبين الإمالة (بين بين) رفع الصوت في الصغرى، وهو ليس كذلك؛ إذ يرفع الصوت لا علاقة له بالإمالة الصغرى البتة وإنما كما بيّننا بأن الإمالة الصغرى تجعل النطق بها بين الإمالة الكبرى والفتحة المرققة، وهي بهذا تقرب إلى صورة اللفظ بالراءات المرققة.

3.18. الإمالة عند ورش:

لم تظهر الإمالة المحضة (الكبرى) في رواية ورش إلى في حرف الهاء من فاتحة سورة (طه).
وأما ما جاء في هذا الباب من غير هذا الموضوع فهو بالإمالة (بين بين). وما جاء مما لا لدى
نافع يتمثل في الآتي:

1- كل ألف متطرفة أصلية منقلبة من ياء تحقيقاً أو ألحقت بها- وهو ما يسمى بذوات الياءات- نحو:
الهدى والهوى والضحى، واصل هذه الإمالة الإشعار بالأصل اليائي.

2- كل ألف متطرفة متصلة براء قبلها وهي ما يعرف بذوات الرّاءات نحو: اشترى والبشرى
والكبرى.

3- كل ألف وقعت قبل راء متطرفة أصلاً وجاءت مكسورة كسرة أصلية نحو: كتاب الأبرار، وكتاب
الفجار، وفي النهار. ووجه هذه الإمالة المناسبة بين الألف والكسرة.

4- وجاءت عن نافع الإمالة (بين بين) في بعض الحروف التي وقعت فواتح للسور، وهذه الحروف
هي: الهاء والياء الواقعتان في فاتحة سورة مريم (كهيعص)، والحاء الواقعة فاتحة للسور المستهلة
بـ (حم) والرّاء الواقعة فاتحة للسور: يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر.

ووجه إمالة هذه الحروف هو تشبيهها بالألف المنقلبة عن الياء، وذلك لأن أسماء الحروف الهجائية
أجريت مجرى ذوات الياء حيث أن الكثير من ألفات الأسماء تقع منقلبة عن ياء أو ملحقة بها.
والعبرة هنا بصوت الحرف لا بالحرف ذاته.

قال أبو شامة [78] ج1 ص365-366: «وإنما أميلت- يعني الحروف المقطعة- لأنها أسماء ما
يلفظ به من الأصوات المتقطعة، وقد أمالوا الألف في النداء وهي حرف، فإمالة هذه الأسماء
أولى» [97] ج3 ص215.

5- كل راء أميلت راء بعدها نحو: (الإبرار) التي أميلت فيها الرّاء الأولى لإمالة الرّاء الثانية
كسرهما. ووجه هذه الإمالة المناسبة بين الرّاءين، كما هو الحال في لفظ (رَءَا).

6- وفي بعض الكلمات الفرشية وهي: الكافرون وجبارين حيث وقعتا في القرآن الكريم، وهما
كلمتان مخصصتان بحيث لا يشمل حكم الإمالة ما اشتق منهما نحو: الكافرون والكافر ووجه هذه
الإمالة واضح بأنه المناسبة بين الألف والكسرة، وربما جاز في الكلمة الواحدة الوجهان: الفتح

والتقليل وذلك للجمع بين اللغتين، إلا أنه لا يجوز العدول عن أحدهما إلى الآخر إلا عن طريق الرواية.

3.19. نظام الهمزات عند ورش:

الهمزة في لغة العرب نوعان: همزة قطع وهمزة وصل.

فهمزة القطع هي التي تثبت وصلًا ووقفًا، وهمزة الوصل هي التي تثبت ابتداءً وتسقط في الدرج أي في حالة الوصل.

والهمز قد ينفرد، وقد يتعدّد، في كلمة وفي كلمتين، وقد يثبت وقد يحذف، وقد تنقل حركته، وقد يبدل، وقد يُسهّل، ولكلّ حالة أحكامها الخاصة بها.

أولاً- الهمز المفرد: وهو الذي لم يجتمع مع همز آخر وهو قسمان:

القسم الأول: هو الذي تنقل حركته إلى الساكن الذي قبله ويلغى هو بالكلية، ويشترط لذلك شرطان:

1- أن يكون الساكن صحيحاً (أي ليس حرف مدّ) سواء كان الساكن موجوداً لفظاً وخطاً نحو: (من ءامن)، (من أوتي) أم كان موجوداً لفظاً وخطاً نحو (كلّ ءامن)، (عذابٌ اليم). فتقرأ كما يلي: (مَنَامَن، مَنَوَتِي، كُنُنَامَن، عَدَابُنُلِيم).

2- أن يكون الساكن منفصلاً عن الكلمة خطأً-كما سبق- أو حكماً، كما في النقل إلى لام التعريف في نحو: (الأولى)، (الآخرة)، (الإيمان)، (الابرار)، (الانسان)، فتقرأ (أولى)، (الآخرة)، (أليمان)، (البرار)، (الانسان).

القسم الثاني: وهو الذي يغلب أن يبدل فيه الهمز حرف مدّ من جنس حركة ما قبله، وهو يقع في موضع فاء الكلمة وعينها ولامها، وقد يقع ساكناً أو متحركاً، وإليك أحكامه ملخصّة على هذا النحو [93]ص123-125:

1- فإذا كانت الهمزة فاء الكلمة: فهي لا تعدو أن تكون إمّا ساكنة أو مفتوحة بعد ضمه أو مفتوحة بعد كسرة.

الحالة الأولى- ساكنة: تبدل حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها (تستأنسوا) تقرأ (تستانسوا)، ويستثنى من ذلك لفظ الإيواء كيفما وقع فإنه يحقق.

الحالة الثانية- مفتوحة بعد ضمة: تبدل واواً نحو (يؤيد) فتقرأ (يويد).

الحالة الثالثة- مفتوحة بعد كسرة: تبدل ياء نحو (لأهَبَ) تُقرأ (لِيَهَبَ)، (لِيَلَا) تُقرأ (لِيَلَا).

2- وإذا كانت الهمزة عين الكلمة: وفيها أربع حالات:

الحالة الأولى- ساكنة بعد فتح: فإنها تحقق نحو: (البأس)، (الرأي).

الحالة الثانية- ساكنة بعد كسر: فإنها تبدل ياءً نحو: (بئس) تقرأ (بيس)، ويستثنى لورش كلمة واحدة في قوله تعالى (رثياً) فلا إبدال فيها.

الحالة الثالثة- ساكنة بعد ضمة: تحقق نحو: (الرؤيا)، (سُؤْلُكَ).

الحالة الرابعة- متحركة: فإنها تحقق حيثما وقعت نحو (سالم) يستثنى من ذلك (سأل) بالمعارج، و (أرايت) المتصلة بهمزة الاستفهام في جميع القرآن، فإنها تبدل حرف مدّ، مع جواز التسهيل في (أرايت).

3- إذا كانت الهمزة لام الكلمة: كيفما كانت فإنها تحقق؛ نحو (امرؤ)، (سبأ)، (الخبء)، ويستثنى من ذلك آية (إنما النسيء زيادة في الكفر) فإنها تبدل ياءً لتكون (إنما النسيء زيادة في الكفر).

3.20. الهمز المزدوج في كلمة واحدة:

إذا اجتمعت همزتان في كلمة واحدة فالأولى لا تكون إلاً مفتوحة، والثانية تارة تكون همزة قطع وتكون همزة وصل ولكل حالة حكمها كما سنوضحه على الوجه التالي:

أولاً- إذا كانت ساكنة وواقعة موضع فاء الكلمة: فإنها تبدل حرف مدّ من جنس حركة الهمزة الأولى، فتبدل ألفاً في نحو: (ءامن)، وواواً في نحو (أوتوا) وياءً في نحو: (إيمان).

فإذا كانت الهمزة الأولى همزة وصل فالهمزة الثانية تبدل حرف مدّ من جنس حركة همزة الوصل التي قبلها، نحو (اوتمن)، (ايذن)، (ايئنا)، وذلك حالة الابتداء فقط.

أما حالة الوصل فالهمزة القطعية تبدل حرف مدّ من جنس حركة الحرف الذي في آخر الكلمة التي قبل همزة الوصل، فتبدل ألفاً في نحو: (إلى الهدى انتنا) فتقرأ (إلى الهداتنا).

وتبدل واواً في نحو: (وقال الملك ايتوني)، فتقرأ (وقال الملكو توني) وتبدل ياءً في نحو: (الذي اوثمن) فتقرأ (الذيئمن).

أما الهمزة وصلية التي تبدل منها الهمزة القطعية في حالة الابتداء فإنها تلغى بالكلية حالة الوصل.

ولا يزداد على المد الطبيعي في الحالتين-أي حالة الابتداء بهذه الكلمات أو حالة وصلها بما قبلها-

ثانياً- إذا كانت متحركة: ولا تقع إلا بعد همزة الاستفهام، وهي إما أن تكون قطعية مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة، وإما أن تكون وصلية مفتوحة أو مكسورة.

وأحكامها مفصلة كالآتي:

الهمزة المتحركة إما أن تكون: قطعية أو وصلية.

الحالة الأولى- قطعية: فإذا أن تكون مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة.

1- إذا كانت مفتوحة: تبدل حرف مدّ أو تسهل بين بين.

مثل: (أَتَّخِذُ)، (أَشْفَقْتُمْ)، (أَأَنْتَ)، (أَأَلِدُ).

2- إذا كانت مضمومة: فإنها تُسهل بين بين.

مثل: (أُنزِلَ).

3- إذا كانت مكسورة: فإنها تُسهل كذلك بين بين.

مثل: (أَنْنُكُمُ)، (أَيْدَا)، أمّا كلمة أئمة ففيها الوجهان: التسهيل أو إبدالها ياءً فتصير (أئمة) [93] ص127.

الحالة الثانية- إذا كانت الهمزة المتحركة وصلية فإما أن تكون مفتوحة أو مكسورة:

1- فإذا كانت مفتوحة فإنها تبدل حرف مدّ، أو تسهل بين بين.

مثل: (الذَّكْرَيْنِ)، (الله).

2- وإذا كانت مكسورة: فإنها تحذف نحو: (أَصْطَفَى)، (أَطَّلَعَ) وأصلها (أَصْطَفَى) و(أَطَّلَعَ).

3.21. الهمز المزدوج بين كلمتين:

هو ما اجتمعت فيه همزتان، الأولى تكون آخر الكلمة والثانية أول الكلمة التي تليها.

وأحكامه تتلخص فيما يلي:

1- الهمزتان المتفتحتان في الحركة: ولها ثلاث حالات:

الحالة الأولى- كونهما مفتوحين:

تحقق الأولى وتسهل الثانية أو تبدل ألفاً. نحو: (جَاءَ أَجْلُهُمْ)، (جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ).

الحالة الثانية- كونهما مضمومتين:

تحقق الأولى وتسهل الثانية أو تبدل واواً نحو: (أَوْلِيَاءُ أَوْلِيَاكَ).

الحالة الثالثة- كونهما مكسورتين:

تحقق الأولى وتسهل الثانية أو تبدل ياءً ساكنة. نحو: (مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ).

2- الهمزتان المختلفتان في الحركة: وهنا نجد خمس حالات:

الحالة الأولى- الأولى مضمومة والثانية مكسورة:

ففي هذه الحالة تحقق الأولى وتسهل الثانية، أو تبدل واواً مكسورة نحو: (يَأْيُهَا النَّبِيُّ إِذَا) فتقرأ (يا أيها النبيؤذا).

الحالة الثانية- الأولى مضمومة والثانية مفتوحة:

تحقق الأولى وتبدل الثانية واواً مفتوحة، نحو: (يا سماء اقلعي) تقرأ (يا سماءً وقلعي).

الحالة الثالثة- الأولى مكسورة والثانية مفتوحة.

تحقق الأولى وتبدل الثانية ياءً مفتوحة، نحو: (هؤلاء الهة) تقرأ (هؤلاء يالهة).

الحالة الرابعة- الأولى مفتوحة والثانية مكسورة:

تحقق الأولى وتسهل الثانية، نحو: (نسوق الماء إلى الارض).

الحالة الخامسة- الأولى مفتوحة والثانية مضمومة:

تحقق الأولى وتسهل الثانية، نحو: (جاء أمة رسولها).

3. 22. تنبيهات مهمة [93]ص130- 131:

1- ليس في القرآن اجتماع همزتين من كلمتين، الأولى مكسورة والثانية مضمومة.

2- التسهيل والابدال لا يكونان في هذا الباب إلا حالة الوصل أما عند الابتداء فليس إلا الهمز.

3- روي عن ورش في خصوص قوله تعالى: (هؤلاء إن كنتم صادقين) (البقرة: 31)، وقوله تعالى: (عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا) (النور: 33)، وجه ثالث هو إبدال الثانية ياءً خفيفة الكسر، أي مختلصة.

4- عند إبدال الهمزة الثانية حرف مدّ من كلمة واحدة أو كلمتين فالمدّ يكون حسب حركة الحرف الذي بعد الهمزة المبدلة، فإن كان ساكناً مثل (جاء امر ربك) ففيه الإشباع لا غير، وإن كان متحركاً مثل (جاء اجلهم) فليس إلا القصر على التحقيق، وقيل تجوز الأوجه الثلاثة كمدّ البدل.

5- إذا كان بعد الهمز الثاني حرف مدّ كما في خصوص قوله: (جاء ال لوط) بالحجر، وكذا (جاء ال فرعون) بالقمر، فلورش الوجهان المذكوران: الإبدال والتسهيل. إلا أنه عند تسهيل الهمزة الثانية فالمدّ بعدها مدّ بدل فيه الأوجه الثلاثة، وعند الابدال ليس إلا القصر أو الطول، ويمنع التوسط.

6- عند تحرك الحرف الموالي للهمزة الثانية بسبب التقاء الساكنين كما في خصوص قوله تعالى: (من النساء اتقين)، أو بسبب النقل كما في قوله تعالى: (على البغاء ان اردن تحصنا)، وقوله تعالى: (للنبيء ان اراد النبيء) فليس إلا القصر عند الاخذ بوجه ابدال، اعتدادا بالحركة العارضة، والطول عند عدم الاعتداد بها.

والهمزة صوت أقصى حلقي، شديد، وفي جهره وهمسه اختلاف بين علماء الأصوات، تعرض له الدارسون والباحثون من قدماء ومحدثين ولا يزالون لم يقولوا كلمتهم الأخيرة فيه، وتوقفوا عند وصفه بالعسر والغموض [01]ص123.

وتحدث سيبويه عن الهمزة في كتابه مطولاً، عرض فيه ما سمعه عن العرب في كلامهم، والشعراء في إنشادهم، والقراء في أدائهم، وما لهؤلاء من آراء فيها، واحتيال عليها، بالتخفيف وحسن التخلص، وتعرض لها جلال الدين السيوطي فقال فيها: «لما كان الهمز أثقل الحروف نطقاً، وأبعدها مخرجاً، تنوع العرب في تحقيقه بأنواع التخفيف، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم تخفيفاً، وأحكام الهمزة كثيرة لا يحصيها أقل من مجلد» [51] ج1 ص98.

3. 23. ثلاث همزات في كلمة واحدة:

ليس في القرآن الكريم من ذلك إلا ثلاث كلمات وهي:

- (ءالهنئا خير) (الزخرف: 58).

- (ءامنتم له قبل أن اذن لكم) (الأعراف: 123)، (طه: 71)، (الشعراء: 49).

وكلمة (ءالان) (يونس: 51، 91).

وحكمها عند ورش كالآتي:

- أن (ءالهنئا)، و (ءامنتم) تحقق فيهما الهمزة الأولى وتسهل الهمزة الثانية وجها وتبدل الهمزة الثالثة حرف مَدَّ يُمَدُّ حينئذ مَدَّ البدل لوقوعه بعد همز مسهَّل.

- أمَّا (ءالان) فبسبب نقل حركة الهمزة الثالثة إلى اللام وصلت أوجه قراءاتها إلى سبعة حالة الوصل وسبعة حالة الوقف على الشكل التالي:

1- الوصل:

- إبدال الهمزة الثانية مع الطول ← الأوجه الثلاثة في (لان) ← 3

- إبدال الهمزة الثانية مع القصر ← القصر فقط في (لان) ← 1

- التسهيل ← الأوجه الثلاثة في (لان) ← 3

2- عند الوقف:

- الإبدال مع الطول مع الأوجه الثلاثة في (لان).

- الإبدال مع التوسط مع التوسط والقصر في (لان).

- الإبدال مع القصر مع القصر في (لان).

- التسهيل مع الأوجه الثلاثة في (لان) [85] ص 91 وما بعدها.

3. 24. اجتماع الساكنين:

الملاحظ في قراءة نافع ورواية ورش الناقل عنه أنها اشتملت على جملة من مواضع اجتماع الساكنين؛ والحقيقة أن الأصل في لغة العرب ألا يجتمع ساكنان متواليان سواء أكان ذلك في كلمة أم في كلمتين إلا في مواضع قليلة أغتفر فيها ذلك لأسباب صرفية، وهذه المواضع محل خلاف بين النحاة.

قال أبو حيان الأندلسي: «إن الكوفيين أجازوا الجمع بين الساكنين على غير الحدّ الذي أجازه البصريون» [45] ج 1 ص 47- 48.

أما عند نافع فقد تمثل ذلك فيما يلي:

1- في حال اجتماع همزتين مفتوحتين بعد الثانية ساكن حيث تبدل الهمزة الثانية ألفاً ويجتمع ساكنان وذلك نحو: (أنت) و (جاء أمرنا) و (أنذرتهم).

2- في كلمة (نِعَمًا) الواقعة في قوله تعالى: (إن تبدوا الصدقات فنعمًا هي وإن تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم) من سورة البقرة، الآية: 270. وفي قوله تعالى: (إن الله نعمًا يعضكم به) حيث قرأ نافع من رواية قالون بإسكان العين وتشديد الميم.

3- وكلمة "محيائي" الواقعة في قوله تعالى: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) حيث قرأ نافع بإسكان الياء من رواية ورش.

وما هذه إلا أمثلة ذكرناها على سبيل الإشارة والتمثيل، إذ أن هناك أمثلة أخرى لم نذكرها حتى لا يطول بنا الحديث وفي هذا القليل ما يغني عن الإطالة والإطناب.

3. 25. الإبدال عند ورش:

الإبدال لغة من البذل، وبذل الشيء الخلف منه، وتبدل الشيء أو ابدله واستبدله بمعنى اتخذه عنه بدلا وأقام مكانه [03] ج 4 ص 115.

واصطلاحاً هو أن تحذف حرفاً من الكلمة وتجعل آخر مكانه لدفع الثقل الصوتي الذي سببه وجود الحرف المحذوف بين أصوات الكلمة أو الجملة [101]ص19.

قال الجرجاني: «الإبدال هو أن تجعل حرفاً موضع آخر لرفع الثقل» [102]ص5.

وقد يسمى الإبدال بالقلب كمصطلح ثان على خلاف بين المستعملين للمصطلحين.

تقول الدكتورة آمنة بن مالك: «لقد فطن القدامى لهذه الظاهرة ولكنهم لم يحددوا لها مصطلحاً واحداً، وإنما استعملوا للتعبير عنها مصطلحين هما: القلب والإبدال» [94]ص447.

وتعتبر ظاهرة الإبدال صورة من صور الاتباط والانسجام الصوتيين، ووجهاً من وجوه تفاعل الأصوات وتأثير بعضها في بعض، وذلك لأنه لا يبدل حرف من حرف إلا على أساس علاقة صوتية بينهما إما من حيث المخرج وإما من حيث الصفة.

ويبدو جلياً في إبدال الصاد من السين في كلمة (الصراط) لدى بعض القبائل العربية، حيث نجد الصاد تجانس الطاء وتؤاخيته في الاستعلاء والإطباق، ولذا اقتضاه الطاء ليتجانس صوتهما في الكلمة. وكان الاختيار واقعاً على الصاد دون مثيلاتها من حيث الاستعلاء والإطباق لأن الصاد تؤاخي السين وتجانسها في صفتي الصغير والهمس [103]ج1ص26.

ومن هنا يتبين أن الإبدال لا يتم إلا على أساس علاقة صوتية بين الحرفين المبدل منه من جهة وعلاقة بين الحرف المبدل والحرف المجاور له في الكلمة ليتم التوافق الصوتي بينهما.

قال الأنطاكي: «إذا اجتمع في الكلمة مطبق ومنفتح مال المنفتح إلى المطبق إلى أن يصير مطبقاً توفيراً للإنسجام الصوتي في أصوات الكلمة. وهذا ما يفسر لنا لم تصير تاء الافتعال طاءً بعد المطبقات: الصاد والضاد والطاء» [35]ص116.

وقد كان الإمام أبو زكريا الفراء - قديماً - ممن اشترط هذه العلاقة الصوتية لتتم عملية الإبدال، وقال ابن سيده مؤكداً هذه العلاقة: «فأما العلاقة مالم يتقارب مخرجاه البتة ... فلا يسمى بدلاً وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق» [104]ص65.

ومن خلال الاستقراء لما جاء في قراءة نافع المدني من مظاهر الإبدال يتجلى لنا بوضوح أن هذه الظاهرة (ظاهرة الإبدال) تمثلت في جملة من الأوجه والصور وهي كالاتي:

- إبدال الهمزة إلى أحد حروف المدّ واللّين.

- إبدال الهمزة إلى أحد حروف العلة الياء أو الواو المتحركتين.

- إبدال السين صاداً.

وتفصيل ذلك كمايلي:

أ- تبدل الهمزة ألفاً لدى نافع إذا كانت ثابتة همزتين مزدوجتين مفتوحتين سواء كان في كلمة واحدة أم في كلمتين، وذلك نحو: "ألد" و" شاء أنشره" و" جاء أمرنا".

وكذلك إذا كانت ساكنة واقعة فاءً للكلمة مسبوقة بفتح نحو: "ناكل" و" يالمون".

ووجه هذا الإبدال المبالغة في تحقيق الهمز فراراً منه مطلقاً [85]ص68.

وهذا على غير القياس اللغوي، إذ القياس التسهيل (بين بين)، ولذا أنكره الزمخشري في قوله: «فإن قلت: ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفاً. قلت: هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين، أحدهما: الإقدام على جمع الساكنين على غير حدة... والثاني: إخطاء طريق التخفيف، لأن كريق التخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج (بين بين)» [70]ج1ص154-155.

غير أن إنكار الزمخشري مردود عليه وهو في ذلك محجوج [105] ج1ص154-155. حيث جاز اجتماع الساكنين إذا فصل بينهما بمدّ مشبع، والإمام نافع لا يبديل إلا باشتراط إشباع المدّ بين الساكنين فيما وقع من ذلك.

وتبدل الهمزة واواً مدّية إذا كانت ساكنة واقعة فاءً للكلمة وكان ما قبلها مضموماً نحو: "يؤمنون" و" مؤمن" و" الموتفة".

وكذلك إذا كانت ثانية بين همزتين مضمومتين نحو: "أولياء أُنك".

وتبدل الهمزة ياءً مدّية إذا كانت ساكنة واقعة فاءً للكلمة وكان ما قبلها مكسوراً نحو: "الذي اوئتمن" وكذلك إذا كانت ثانية همزتين مكسورتين نحو: "من وراء إسحاق يعقوب" و" وهؤلاء إن" وأيضاً جاءت الهمزة مبدلة ياءً مدّية لنافع في فرش قراءته في كلمات مخصوصات هي: الذئب والبئر وبئس [98]ص79.

ب- إبدال الهمزة حرف علة:

تبدل الهمزة حرف واواً خالصة إذا وقعت مفتوحة أو مكسورة بعد همزة مضمومة نحو: " ياسمَاءُ اقلعي " و " الفقراءُ إلى الله " وكذلك إذا وقعت مفتوحة فاءً لكلمة وكانت بعد ضم نحو: " مؤذَن " و "المؤلفة" وفي كلمة مستقلة هي: " التَّنَاشُ " .

وتبدل الهمزة ياءً خالصة إذا وقعت مفتوحة بعد همز مكسورة نحو: " من السماء آية " وله الإبدال ياءً في موضعين خاصين هما:

عند قوله تعالى: (هؤلاء إن كنتم صادقين) في سورة البقرة، الآية: 30.

وعند قوله تعالى: (ولا تكرر هوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً) من سورة النور، الآية: 33، ولا يقاس على هذين الموضعين غيرهما.

وجاء ذلك أيضاً في كلمات مخصوصة هي: " النسيء " و " لئلاً " و " اللائي " إذا وقفت على هذه الأخيرة.

وأما كلمة النبي فهي عند نافع بتحقيق الهمزة على الرغم من أن جميع القراء على إبدالها ياءً خالصة.

ج- إبدال السين صاداً:

ورد ذلك عن الإمام نافع في الألفاظ الثلاثة التالية: الصراط والمسيطرون وسيطر حيث وقعت في القرآن الكريم.

3. 26. الوقف والابتداء:

الوقف لغة: الواو والقاف والفاء. أصل واحد يدل على تمكث في شيء والمكث: كلمة تدل على توقف وانتظار [106] ج5ص125.

واصطلاحاً: « هو قطع الصوت على الكلمة زمنياً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة » [59] ج1ص240.

3. 27. أهمية الوقف والابتداء:

للوقف والابتداء أهمية كبرى عند علماء اللغة والقراءة، فهما عنصر مهم في فهم الجملة القرآنية فهماً صحيحاً، ولا مربية في ذلك؛ لأنَّ « معرفتهما تُظهر معاني التنزيل، وتعرف مقاصده وتستعد القوة المفكرة للخوض في بحر معانيه، وذُرر فوائده » [52] ج1 ص149.

فالمتكلم يمكنه عند تقطيع الكلام إفهام السامع ما يريد، فقد وصف الأحنف بن قيس (ت 72 هـ) عمرو بن العاص (ت 43 هـ) بأنه: « كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام ، وأعطى حقَّ المقام، وغاص في استخراج المعنى بالطف مخرج، حتى يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبيعه من الألفاظ» [107] ص45.

وأوضح أبو عمرو الداني أهمية الوقف في تجويد القرآن وقراءته بقوله: « التجويد لا يتحصل لقراء القرآن إلا بمعرفة الوقف، ومواضع القطع على الكلم » [108] ص25.

ويتضح مما سبق أنَّ المعنى يرتبط ارتباطاً وثيقاً، كما أنَّ له علاقة كبيرة في أمور الحياة العامة إذ يُبَيِّنُ عليه قسم من الأحكام الشرعية، ثم إنَّ القارئ يحتاج إلى فهم المقاطع القرآنية، لذلك حثَّ الأئمة على تعلمه ومعرفته والاعتناء به [109] ص21.

3. 27. 1. أسباب الوقف:

لمَّا كان القارئ في كتاب الله لا يستطيع قراءة سورة في نفسٍ واحد عند الوصل، فقد ذكر العلماء أنَّ الوقف يأتي على وجهين:

« الأول: إذا أدى الوصل إلى اختلاف المعنى، كقوله تعالى: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ) (الأنعام: 36) لئلا يفهم السامع عند القراءة " إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى " أن الواو عاطفة، فالمعنى حدَّد وجوب الوقف على " يسمعون " [109] ص30.

الثاني: للراحة على النفس عند انقطاع النَّفس، ولذلك سقط منه الإعراب والتنوين، فمن أثبتتها مع الوقف أخطأ كما أنه أخطأ من طرحها مع الوصل أخطأ » [110] ص44.

3. 27. 2. أنواع الوقف:

اختلف الأئمة القراء في بيان أقسام الوقف، فذهب بعضهم إلى أنها أربعة أقسام: تام مختار، وكاف جائز، وصالح مفهوم وقبيح متروك، وذهب آخرون إلى أنَّ الوقف ثلاثة أقسام:

مختار وهو التام، وجائز وهو الكافي الذي ليس بتام، والقبیح الذي ليس بتام ولا كاف.

وقال غيرهم: الوقف قسمان: تام وقبيح لا غير [111]ص138.

ورجّح الداني المذهب الأول، فقال: « و القول الأول أعدل عندي وبه أقول؛ لأن القارئ قد ينقطع نَفْسُهُ دون التام و الكافي، فلا يتهيأ له، و ذلك عند طول القصّة و تعلّق الكلام بعضه ببعض، فيقطع حينئذٍ على الحسن المفهوم تيسيراً و سعة، إذ لا حرج في ذلك و لا ضيق فيه في سنّة و لا عربية » [111]ص139.

ويمكن عرض بعض أنواع الوقف التي ذكرتها كتب القراءات:

3. 27. 2. 1. بالنظر إلى التعلق اللفظي والمعنوي:

فهو أقسام أربعة:

1- وقف تام: وهو الوقف على كلام لا تعلق له به بعده لا لفظاً ولا معنى، مثل: (وأولئك هم المفلحون) بالبقرة.

2- وقف كاف: وهو الوقف على كلام له تعلق بما بعده من جهة المعنى دون اللفظ، مثل: (أم لم تنذرهم لا يومنون) بالبقرة.

3- وقف حسن: وهو الوقف على كلام له تعلق بما بعده لفظاً ومعنى ولكن الوقف عليه يؤدي معنى صحيحاً في نفسه، مثل: (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) بنوح.

4- وقف قبيح: هو الوقف على ما له تعلق بما بعده لفظاً ومعنى، ولا يؤدي معنى صحيحاً أو لا يفهم، مثل الوقف على " ذلك " من (ذلك الكتاب لا ريب فيه) بالبقرة.

أما بالنظر إلى رؤوس الآي: فإن الوقف على كل آية سنة مطلوبة خاصة في الفاتحة اقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسلم.

3. 27. 2. 2. بالنظر إلى ما يوقف به من سكون أو إبدال ونحوهما:

3. 27. 2. 2. 1. الوقف بالسكون:

ويكون عند الوقوف على حرف في آخر الكلمة متحرك بأي حركة، مشدد أو غير مشدد، مُنُونٍ أو غير مُنُونٍ، إلا المنون المنصوب فيوقف عليه بالإبدال ويمدّ مدًّا طبيعياً ويسمى مدّ العوض.

3. 27. 2. 2. 2. الوقف بالبدل:

ويكون عند الوقف على المنون المنصوب كما ذكرنا ذلك، فيبدل حرف مدّ ولا يزداد فيه على الحركتين، وعند الوقف على تاء التانيث المتصلة بالأسماء نحو (الجنة) تبدل هاء إلا التي رسمت تاء فيوقف عليها بالتاء مراعاة للرسم.

3. 27. 2. 3. الوقف بالحذف:

ويكون فيمالي:

أ- المنون المرفوع والمجرور، يحذف تنوينه ويوقف عليه بالسكون.

ب- ميم الجمع، يوقف عليها بحذف صلة ما يوصل منها.

ج- هاء الضمير، يوقف عليها بحذف صلة ما يوصل منها.

د- الياءات الزوائد التي تزداد في الوصل، تحذف عند الوقف.

3. 27. 2. 4. الوقف بالروم:

ويكون في المرفوع والمجرور من المعربات وفي المضموم والمكسور من المبنيات، ولا يجوز مع النصب والفتح.

3. 27. 2. 5. الوقف بالإشمام:

ويكون في المضموم من المبنيات والمرفوع من المعربات فقط ولا يكون في هاء التانيث والشكل العارض ولا في ميم الجمع ولا هاء الضمير.

تعد ظاهرة الإشمام الصوتية إحدى الملامح التي طبعت قراءة نافع في بعض ما جاءت به فرشاً.

وإذا كان الإشمام لغة مأخوذ من الشمّ وهو حس الأنف، وتشمّم الشيء واشتمه أدناه في أنفه ليتحسس رائحته، وغشمام الحروف إذقتها جزءاً من الحركة: الضمّة أو الكسرة [112] ج2 ص1102.

وإصطلاحاً هو بمعنى الخلط والإذاقة غير أنه أنواع ثلاثة أنواع هي:

الأول- خلط حركة بحركة أخرى غير مماثلة لها:

وهو النطق بحركة تامة مركبة من حركتين وأول الحركة المركبة ضمّة وآخرها كسرة، والجزء الثاني أكثر من الأول.

قال أبو شامة: « والمراد بالإشمام أن ينحأ بكسرة أوائلها ضمّة وبالياء بعدها نحو الواو، فهي حركة من حركتين بكسر وضمّ » [97] ج1 ص281.

الثاني- خلط حرف بحرف آخر غير مماثل له:

وهو النطق بحرف متأثر بصوتي حرفين، فذاته ذات الحرف الثاني وصفاته صفات الأول كما هو واقع في الصاد إذا أشمت بالزاي حيث تصير كالزاي المستعملية، وهو ما ظهر جلياً في قراءة حمزة بن حبيب في كلمة (يصدقون والصرّاط) [113] ص269.

الثالث- الإشارة إلى حركة الحرف المضموم الموقوف عليه بالسكون:

وهذه الإشارة تدل أن الأصل في حركته الضمّ، وتكون بضمّ الشفتين من دون صوت. وهو المراد بإطلاق مصطلح الإشمام.

قال الجرجاني: « الإشمام تهيئة الشفتين بالتلفظ بالضم، ولكن لا يتلفظ به تنبيهاً على ضمّ ما قبلها أو بضمّ الحرف الموقوف عليه، ولا يشعر به الأعمى » [102] ص27.

وقال ابن جني: « ومعلوم أنّ هذا الإشمام هو للعين لا للأذن وليس هناك حركة البتة، ولو كانت فيه حركة لكسرت الوزن ... فإذا قنعوا من الحركة أو مأوا بالآلة التي من عاداتها أن تستعمل في النطق بها، ومن غير أنّ يخرجوا إلى حسّ السمع شيئاً من الحركة ... أعني إعمالهم الشفتين للإشمام في المرفوع بغير صوت يسمع هناك » [15] ج1 ص73.

قال الإمام الشاطبي:

الإشمامُ إطباقُ الشَّفَاءِ بُعِيدَ مَا ❁❁ يُسْكُنُ لَأَ صَوْتِ هُنَاكَ فَيَصْحَلُ [87]ص30.

3. 27. 2. 2. 6. التحليل الصوتي لظاهرة الإشمام:

إنَّ الإشمام ظاهرة صوتية الغرض منها الإشعار بأصل الحركة المشمَّة، و ذلك لأن هذه الظاهرة اختصت بالأفعال التي بنبت للذي لم يسم فاعله إذا كانت معتلة العين. نحو: قيل مِنْ قال، و سيء من ساء.

و الأصل في هذه الأفعال في هذه الصيغة أن تصاغ بضمٍّ أولها وكسر ما قبل آخرها غير أنَّ ضمَّ الأول امتنع لعدم مناسبة الضمِّ للياء التي بعدها فجاء عنده بالكسر محلَّه لأنَّه المناسب و المُشَاكِلُ الوحيد للياء.

ولغة الإشمام إذ تستعمل هنا لتدل على أنَّ اصل ما يستحقه هذا الحرف الأول هو الضمِّ وليس الكسر، ولذا كان جزء الضمِّ على مقدمة الحركة المشمَّة، وبقاء جزء الكسر على مؤخرتها ليبدل على ما استحقته هذه الأفعال من الاعتلال [77]ص129.

والإشمام هو خلط حركةٍ بحركةٍ أخرى و تتم كيفية ذلك بالنطق بحركة مركبة من الحركتين (الضمة و الكسرة) على أن يكون الأول من هذه الحركة ضمَّة و آخرها كسرة غير أنَّ الضمَّة تمثل ثلث الحركة المركبة- فقط- وتمثل الكسرة ثلثيها الباقيتين، و لذلك خُلصَ النطق بالياء بعد الحركة بعد الحركة المشمَّة قال ابن البناء: « وكيفية اللفظ به أن تلفظ بأول الفعل بحركة تامة مركبة من حركتين- إفرازاً لا شيوعاً- فجزء الضمَّة مقدم و هو الأقل و يليه جزء الكسرة و هو الأكثر، ولذا تمخضت الياء » [114]ص116.

وقال النويري: « وجزء الضمَّة في جميع ذلك أقل جزء من جزء الكسرة، وقد ر الباقي من الضمَّة بالثلث » [98]ص73.

وليس المراد بالإشمام النطق بحركة مركبة من حركتين في آن واحد وإنما المراد به أن تكون الحركة مركبة تركيبياً جزئياً من الضمَّة والجزء الآخر من الكسرة على هذا التوالي، وهذا لأنَّ النطق بالحركة المركبة من الضمَّة والكسرة شيوعاً لا يوجد في لغة العرب، وهو ما يوجد في لغة بعض العجم ويرمز له بالحرف (U) [97]ج1ص281.

3. 27. 2. 3. بالنظر إلى الباعث عليه:

3. 27. 2. 3. 1. وقف اختياري:

وهو الذي يقصده القارئ باختياره من غير عروض سبب خارجي.

3. 27. 2. 3. 2. وقف اختياري:

هو الوقف الذي يطلب من القارئ بقصد امتحانه في كيفية الوقف على الكلمة، ويلحق به ما يتعمده المعلم لتعليم من يتعلم.

3. 27. 2. 3. 3. وقف اضطراري:

هو الوقف عند ضيق النفس ونحوه كعجز أو نسيان.

3. 27. 2. 3. 4. وقف انتظاري:

وهذا لمن يجمع القراءات فيقف عند كلمة ليعطف عليها أوجها أخرى من وجوه القراءات.

الأصول التي اعتمد عليها القراء في تعيين الوقف:

تباينت مناهج القراء في تعيين الوقف:

1- كان منهج نافع يراعي محاسن الوقف والابتداء بحسب المعنى.

2- كان ابن كثير يقف حيث ينقطع نفسه.

3- كان أبو عمرو يتعمد الوقف على رؤوس الآي.

4- كان عاصم والكسائي يطلبان الوقف حيث يتم الكلام.

5- كان حمزة يقف حيث ينقطع نفسه [59] ج1 ص238.

3. 28. الفرق بين الوقف والقطع والسكت:

ورد في كتب المتقدمين من علمائنا مصطلحات: «الوقف و القطع و السكت » و جميعها يراد بها الوقف [59] ج1 ص239. و يمكن بيان الفرق بين هذه المصطلحات على النحو الآتي:

الوقف: « عبارة عن قطع الكلمة زمنياً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله ... لا بنية الإعراض، ويأتي في رؤوس الآي وأوسطها ولا يأتي في وسط كلمة، ولا فيما اتصل رسماً، ولا بد من التنفس معه » [59] ج1 ص240.

و القطع: « هو عبارة عن قطع القراءة رأساً فهو كالانتهاء، فالقارئ به كالمعرض عن القراءة و المنتقل منها إلى حالة أخرى سوى القراءة كالذي يقطع على حرفٍ أو وِرْدٍ أو عُشْرٍ أو في ركعة ثم يركع أو نحو ذلك مما يُؤْذِن بانقضاء القراءة و الانتقال منها إلى حالة أخرى، و هو الذي يُسْتَعَاذُ بعده للقراءة المستأنفة و لا يكون إلا على رأس آية، لأنَّ رؤوس الآي في نفسها مقاطع » [59] ج1 ص239.

و السكت: « عبارة عن قطع الوقت زمنياً هو دون زمن الوقف عادةً من غير تنفس » [59] ج1 ص240، و اختلفوا في زمن السكت، فبينوه من و صفتهم للسكتة بأنها: سكتة قصيرة، أو مختلصة، أو خفيفة، أو دقيقة، أو لطيفة [103] ج2 ص55.

3. 29. الابتداء:

و هو ضد الوقف، من بدأت الشيء فعلته ابتداء [03] ج2 ص75 و لا يكون إلا اختيارياً؛ لأنه ليس كالوقف تدعو إليه ضرورة، فلا يجوز إلا بِمُسْتَقْبَلٍ بالمعنى موفٍ بالمقصود [59] ج1 ص230.

قال القسطلاني: « فاعلم أنه إنما يتوقف هذا العلم على معرفتها (يقصد بذلك الوقف و الابتداء)، لأنه لما كان من عوارض الإنسان التنفس اضطر القارئ إلى الوقف. و كان للكلام بحسب المعنى اتصال يقبُحُ معه الوقف، و انفصال يحسن معه القطع، فاحتجج إلى قانون يعرف به ما ينبغي من ذلك » [52] ج1 ص247.

3. 30. أقسام الابتداء:

للابتداء أربعة أقسام: « ويتفاوت تماماً و كفاية و حسناً و قبحاً بحسب التمام و عدمه و فساد المعنى و إحالته، نحو الوقف على: (ومن الناس) [البقرة: 8]، فإن (ب) الناس (قبيح ... فلو وقف

على: (من يقول) [البقرة: 8]، كان الابتداء بـ: (يقول) أحسن من ابتدائه بـ: (مَنْ) و كذا الوقف على (ختم الله) [البقرة: 7] قبيح، والابتداء بـ (الله) أقبح، وبـ (ختم) كافٍ ... وقد يكون الوقف حسناً و الابتداء به قبيحاً نحو: (يخرجون الرسول وإياكم) [المتحنة: 1] الوقف عليه حسن لتمام الكلام، و الابتداء به قبيح لفساد المعنى إذ يصير تحذيراً من الإيمان بالله تعالى، و قد يكون الوقف قبيحاً و الابتداء به جيداً نحو: (من بعثنا من مرقدنا هذا) [يس: 52] فإنَّ الوقف على هذا قبيح لفصله بين المبتدأ و خبره؛ و لأنه يوهم أنَّ الإشارة إلى (مرقدنا) و ليس كذلك عند أئمة التفسير، و الابتداء بهذا كافٍ أو تام، لأنه و ما بعده جملة مستأنفة ردُّ بها قولهم «[59]ج1ص230.

3.31. خلاصة:

تعرضت خلال هذا الفصل إلى رواية الإمام ورش من طريق أبي يعقوب الأزرق، فكانت البداية من التعريف بصاحب الرواية ثم صاحب الطريق، وبعد ذلك حللت بعض ما فيها من تلوينات صوتية مركزاً على التناغم الحاصل بين الحروف وقوتها ومدى انسجامها من خلال النظر في بعض الظواهر الصوتية كالإدغام والإشمام والروم، كما وضحت أهم الاختيارات الصوتية والآراء الفرشية التي بنيت عليها هذه الرواية معللاً ما أمكن لي تعليقه، موضحاً أماكنها في كتاب الله، اعتماداً على آراء علماء القراءات من جهة وما وصل إليه علم الأصوات الحديث من جهة أخرى، وبهذا أكون قد وصلت إلى نهاية هذا المجهود الذي أسعى إلى استكماله فيما سيأتي من الأيام الباقية إن قدر الله لي البقاء في هذه الدنيا، ويتسنى لي بعد هذا المسير أن أخلص إلى نتائج هذا البحث من خلال خاتمته.

خاتمة

لا بُدَّ لكل عمل من نهاية يقف عندها حتى يقيّم، وينظر فيه وكما هو حال كل عمل بشري لا بد من أن يشوبه شيء من التقصير والهفوات التي تدل على عجز الإنسان وضعفه، وقد قيل: إن لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة، وفي ختام هذا البحث أودّ أن أتطرق إلى نتائجه التي تم التوصل إليها بعد هذه الجولة التي تعرفنا من خلالها على أهم الملامح الصوتية التي اتسمت بها قراءة الإمام نافع- رحمه الله- فنذكرها في شكل نقاط على النحو التالي:

1- إنّ الإمام نافع لم يكن مقرئاً فحسب بل كان كذلك محدثاً وفقهياً، وقد بلغ بذلك مكانة عالية بين العلماء، غير أنّ تفرغه للقراءة جعل نجمه يبرز في سماء القراء لا في سماء غيرهم وهذا الذي خوّل له أن يؤمّ النَّاس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين سنة وأن يقرئ الناس أزيد من سبعين سنة. درستنا أن المعنى يرتبط بالوقف ارتباطاً وثيقاً.

2- تعد قراءة الإمام نافع من أوثق القراءات وأصحها سنداً وهذا ما جعلها المختارة لدى الكثيرين من العلماء، وليس هذا إلا نتيجة لدقة منهج نافع في اختيار قراءته.

3- كان الإمام نافع ينفرد عن بقية القراء السبعة ويخالفهم في نحو سبعين كلمة فرشية، كما كان ينفرد عنهم في إبدال الهمزة ألفاً في أصوله المعتمدة من باب الهمزتين من كلمة ومن كلمتين.

4- قد ظهر من خلال وصف بعض الملامح الصوتية في رواية ورش من قراءة نافع في مثل وصف الهمزة (بين بين) والإمالة (بين بين) والإشمام أن القراءة الصحيحة لا تنضب إلا بالمشافهة والسماع، وتبينت علة اشتراط القراء السماع في إجازة القارئ.

5- واتضح أنّ قراءة نافع كانت متأثرة- إلى حدّ كبير- بلهجة قبائل الحجاز في بعض ما تكلموا به، وذلك من خلال تسهيله الهمز وبعض الكلمات الفرشية، غير أنّ ذلك لم يكن على حساب الرواية، وإنما كان بالتوافق معها.

6- أوضحت درستنا الصوتية أن التفاضل بين القراءات المتواترة مذهب غير صحيح، لأنّ كلام الله جلّ ذكره على مستوى واحد من الفصاحة والبلاغة والبيان والقوّة والصواب فلا تفاضل فيه.

7- أثبتت درستنا أن القراءات المتواترة لا يجوز رُدّها بحجة مخالفتها لقياس العربية لأنّها سنّة مُنْبَعَةٌ.

8- تبين أن الوقف مرتبط بالوقف ارتباطاً وثيقاً.

9- وأخيراً يمكن القول أنَّ القراءات القرآنية تُعدُّ مصدراً مهماً في الاستشهاد على المسائل الصوتية وهي الصورة الصادقة التي تعكس اللهجات العربية بأمان.

قائمة المراجع

1. مكي درار، " المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية " ، دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر، (2004 م).
2. كمال بشر ، " علم اللغة العام (قسم الأصوات) " ، دار المعارف بمصر، ط5 (1979 م).
3. محمد بن مكرم بن منظور ، " لسان العرب "، دار صادر، بيروت، (1376 هـ / 1956 م).
4. الخليل بن أحمد الفراهيدي ، " كتاب العين "، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق، (1982).
5. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، " مختار الصحاح "، دراسة وتقديم: د. عبد الفتاح البركاوي، دار المنار، مكة المكرمة.
6. أبو الفتح عثمان بن جني ، " سِرُّ صناعة الإعراب "، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (1374 هـ / 1954 م)، (1-6).
7. عمار ساسي، " اللسان العربي و قضايا العصر "، دار المعارف للانتاج و التوزيع، الجزائر، 2001.
8. أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، " شرح المفصل "، المطبعة المنيرية، القاهرة، 1964.
9. محمد كامل الحراني، "ابن سينا، حياته، آثاره و فلسفته"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1991).
10. ابن سينا، " أسباب حدوث الحروف "، تحقيق: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، تقديم ومراجعة: شاكِر الفحام وأحمد راتب النفاخ، مطبوعات معجم اللغة العربية، دمشق، 1983 م.
11. إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغوية"، المطبعة الفنية الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4 (1971).
12. مصطفى حركات، " الصوتيات والفونولوجيا "، دار الآفاق، الجزائر د.ت ..
13. عصام نور الدين، " علم وظائف الأصوات اللغوية- الفونولوجيا -"، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1992.
14. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، " الكتاب "، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975 م.
15. أبو الفتح عثمان بن جني، " الخصائص "، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1374 هـ / 1955 م.

16. أبو البركات، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري ، " نزهة الألباء في طبقات الأدباء " ، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء- الأردن، ط2(1405هـ/1985م).
17. محمد العيد رتيمة، " الصوتيات منطلقاتها ومصادرها التراثية "، مقال في مجلة الصوتيات: ضمن أبحاث الملتقى المغاربي الأول: " الدراسات الصوتية وقضايا المعجمية العربية "، جامعة سعد دحلب، العدد الثاني، 2006.
18. غانم قدوري الحمد، " المدخل إلى علم الأصوات العربية "، منشورات المجمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي، 2002م.
19. تمام حسان، " اللغة العربية مبناها ومعناها " ، دار الثقافة، المغرب [د. ط]، [د. ت].
20. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، " المقتضب " ، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، 1969م.
21. أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، " معاني القرآن "، تحقيق ، محمد علي النجار وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972م.
22. أحمد مختار عمر، " دراسة الصوت اللغوي "، عالم الكتب، القاهرة، ط2(1982م).
23. إبراهيم نجا، " التجويد و الأصوات "، دار الحديث، القاهرة، (1429هـ / 2008م).
24. محمد علي عبد الكريم الرديني، " فصول في علم اللغة العام "، دار الهدى، الجزائر، 2007.
25. جان كانتينيو، " دروس في علم أصوات العربية "، ترجمة: صالح القرميدي، نشریات مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس، 1966م.
26. مناف مهدي، "علم الأصوات اللغوية"، عالم الكتب للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1(1998م).
27. عبد الغفار حامد هلال، " أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي "، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1(1399هـ / 1979م).
28. حلمي خليل، " الكلمة دراسة لغوية ومعجمية "، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 1992.
29. ج. فندريس، " اللغة "، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة الأنجلو المصرية، 1950م.
30. كمال بشر، " علم الأصوات "، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1(2000م).
31. عبد المقصود محمد عبد المقصود، " دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية "، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1(2006م).
32. محمود السعران، " علم اللغة مقدمة للقارئ العربي "، دار النهضة العربية [د. ت]، 175.
33. رمضان عبد التواب ، " المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي "، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط1(1982م).

34. عبد الرحمن أيوب، " أصوات اللغة "، مطبعة الكيلاني- القاهرة، ط2 (1968م).
35. محمد الأنطاكي، " المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها "، دار الشرق العربي- بيروت، ط3(1971م).
36. سعد مصلوح، " دراسة السمع و الكلام "، مطبعة دار التأليف، الناشر: عالم الكتب، ط1(1980م).
37. أبو يعقوب السكاكي، " مفتاح العلوم "، دار الكتب العلمية، بيروت، [د. ت.].
38. تمام حسان، " مناهج البحث في اللغة "، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1955م.
39. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، " المعجم الوسيط "، أخرجه إبراهيم مصطفى و غيره، مطابع المعارف، 1393هـ/ 1986م.
40. محمد فريد عبد الله ، " الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم "، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1 (2008).
41. عبد الصبور شاهين ، " أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي (أبو عمرو بن العلاء) "، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1 (1987م).
42. سورة الحجر، الآية: 9.
43. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، " تهذيب اللغة "، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، د. ت .
44. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، " زاد المعاد في هدي خير العباد "، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7 (1407هـ).
45. أبو حيان الأندلسي، " البحر المحيط "، دار الفكر- بيروت، ط2 (1403هـ).
46. تواتي بن تواتي، " القراءات القرآنية تعريفها و أوجه اختلافها "، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد التاسع، السنة الخامسة، جوان 2009.
47. أبو الخير، شمس الدين، محمد بن محمد الدمشقي، ابن الجزري، " منجد المقرئين ومرشد الطالبين"، دار الكتب العلمية، بيروت ، د. ط ، 1980.
48. أحمد بن علي العسقلاني، " فتح الباري شرح صحيح البخاري "، دار المعرفة، بيروت، د. ط. د. ت.
49. خير الدين سيب، " القراءات القرآنية (نشأتها- أقسامها- حجيتها) "، دار الخلدونية، الجزائر، 2005.
50. بدر الدين الزركشي، " البرهان في علوم القرآن "، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، د. ط. د. ت.
51. عبد الرحمن السيوطي ، " الإتيان في علوم القرآن "، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ط3 (1405هـ).

52. شهاب الدين القسطلاني، " لطائف الإشارات لفنون القراءات"، تحقيق، عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د. ط. ، القاهرة، 1392هـ = 1972م.
53. خير الدين الزركلي، " الأعلام، قاموس تراجم أشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين"، دار العلم للملايين، بيروت، ط5 د. ت.
54. أحمد بن مصطفى بن خليل عصام الدين طاش كبرى زاده، " مفتاح السعادة ومصباح السيادة"، دار الفكر- بيروت، ط2 (1403هـ).
55. محمد عبد العظيم الزرقاني، " مناهل العرفان في علوم القرآن"، دار الفكر، سوريا د. ط. د. ت.
56. عبد الفتاح القاضي، " الدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية"، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 (1401هـ).
57. محمد سالم محيسن، " القراءات القرآنية وأثرها في علوم العربية"، دار الإتحاد العربي للطباعة، مصر، ط1 (1402هـ = 1984م).
58. مكي بن أبي طالب، " الإبانة عن معاني القراءات"، قدم له وحققه، وعلق عليه، وشرحه، وخرج قراءاته: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة د. ت.
59. أبو الخير، شمس الدين، محمد بن محمد ابن الجزري، " النشر في القراءات العشر"، اعتنى به: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، (1429هـ = 2008م).
60. أبو شامة المقدسي، " المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز"، تحقيق، طيار آلتى قولاج، دار صادر، بيروت، (1395هـ = 1975م).
61. عبد الرحمن الحاج صالح، " بحوث ودراسات في اللسانيات العربية" (صدر ضمن تظاهرة الجزائر عاصمة الثقافة العربية)، موفم للنشر، الجزائر، 2007م.
62. أبو الحسين مسلم بن الحجاج، " صحيح مسلم"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2 (1399هـ = 1972م).
63. أبو زكريا يحيى بن شرف الدين بن مري النووي، " صحيح مسلم بشرح النووي"، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط2 (1392هـ = 1972م).
64. محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، " تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي"، د. ط. د. ت.
65. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، " سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي"، وحاشية السندي، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط. د. ت.
66. سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو، الأزدي أبو داود، السجستاني، " سنن أبي داود"، ضبط وتعليق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ط. د. ت.
67. الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي الشافعي، " شرح السنّة"، تحقيق، زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2 (1403هـ = 1983م).
68. الدكتور صبحي الصالح، " مباحث في علوم القرآن"، دار العلم للملايين، لبنان، ط7 (1972م).

69. أحمد مختار عمر و عبد العال سالم مكرم، " معجم القراءات القرآنية (مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء) "، ط2 (1408هـ = 1988م).
70. محمود بن عمر الزمخشري، " الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل "، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 (1397هـ = 1977م).
71. أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، " اللمع في أصول الفقه "، تحقيق، محي الدين ديب، ويوسف على بدوي، دار ابن كثير للطباعة و النشر، ط1 (1416هـ = 1995م).
72. محمد عبد الحفيظ، " المستنير في تخريج القراءات المتواترة "، دار الجيل، ط1 (1409هـ = 1989م).
73. نور الدين محمدي، " علم القراءات بين مصادر المتقدمين و مناهج التربية الحديثة دراسة مقارنة بين بنجامين بلوم والشاطبي "، دار الإمام مالك، الجزائر، 2007.
74. محمد بن موسى الشرويني الجراري، " تجويد القرآن الكريم على رواية ورش عن نافع بطريق الأزرق "، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2008.
75. مكي نصر، " نهاية القول المفيد في علم التجويد "، تصحيح: علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1349هـ.
76. عبده الراجحي، " اللهجات العربية في القراءات القرآنية "، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، ط1 (1428هـ = 2008م).
77. أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبناء، " إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر "، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، د.ت .
78. أبو الخير، شمس الدين، محمد بن محمد ابن الجزري، " غاية النهاية في طبقات القراء "، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط1 (1932).
79. علي بلعالية دومة، " المصباح المفيد في علم القراءات و التجويد "، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 1998.
80. الحافظ أبو عمر يوسف ابن عبد البر، " الاستيعاب في أسماء الأصحاب "، دار الفكر: بيروت- لبنان، 1426هـ = 2006م.
81. إيهاب فكري، " تقريب الشاطبية "، المكتبة الإسلامية، ط1 (2005).
82. محمد شفيق غربال وآخرين، " الموسوعة العربية الميسرة "، ط2 (1972).
83. عبد الفتاح القاضي، " الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع "، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة- المملكة العربية السعودية، ط5 (1420هـ = 1999م).
84. مصطفى صادق الرافعي، " إعجاز القرآن و البلاغة النبوية "، دار الكتاب العربي، بيروت، 1425هـ / 2005م.

85. إبراهيم المارغيني، " النجوم الطواع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع "، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت- لبنان، 1415هـ = 1995م.
86. أبي القاسم ابن القاصح، " سراج القارئ المبتدئ و تذكّار المقرئ المنتهي "، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت .
87. أبو القاسم بن فيره الشاطبي، " حرز الأمانى و وجه التهاني "، ضبط و تصحيح: علي محمد الضباع، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1355هـ = 1937م.
88. نور الدين محمدي، " رواية ورش من طريق يعقوب الأزرق "، دار الإمام مالك، الجزائر، 2009.
89. أبو عبد الله، شمس الدين الذهبي، " معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار "، تحقيق: د. بشار عواد معروف، و شعيب الأرنؤوط، و صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2 (1988).
90. سليمان بن حسين الجمزوري، " فتح الرحمن شرح كنز المعاني بتحريه حرز الأمانى "، تحقيق: عبد الرزاق بن علي إبراهيم موسى، دار الضياء، مصر، ط1 (2003).
91. محمد أحمد معبد، " الملخص المفيد في علم التجويد "، دار السلام، مصر، ط11 (2006).
92. ابن الجزري، " المقدمة الجزرية ، (ضمن الجامع للمتون العلمية اثنان وثلاثون متناً في مختلف العلوم مقابلة على عدة نسخ و مضبوطة ضبطاً كاملاً) "، اعتنى بجمعها و ضبطها و قدم لها، عبد الله بن محمد الشمراني، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط2/1425هـ / 2005م.
93. عبد الحليم قاية، " المختصر الجامع لأصول رواية ورش عن نافع "، دار البلاغ، الجزائر، 2001.
94. أمانة بن مالك، " مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي " (رسالة دكتوراه في فقه اللغة)، بإشراف: د. إبراهيم خليل العطية، معهد اللغة والأدب، جامعة الجزائر، سنة 1987.
95. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، " الإمالة في القراءات و اللهجات العربية "، دار الشروق للنشر و التوزيع و الطباعة، جدة، شركة الخدمات الصحفية و الطباعية، بيروت، ط3 (1403هـ).
96. أبو سعيد السيرافي، " إدغام القراء "، تحقيق: د. محمد علي عبد الكريم الرديني، دار الشهاب، باتنة، الجزائر.
97. أبو شامة المقدسي، " إبراز المعاني من حرز المعاني "، تحقيق: محمود عبد الخالق جادو، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1411هـ.
98. رابح دفرور، " الظواهر اللغوية في قراءة نافع "، دار البلاغ، الجزائر، 2007.
99. عبد الرحمن الحاج صالح، " مسائل في مصطلحات التجويد "، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية و الصوتية بجامعة الجزائر، العدد 6، 1982.
100. عبد العزيز القاري، " حديث الأحرف السبعة "، مجلة القرآن الكريم و الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الأول، سنة 1402هـ.

101. محمد سمير نجيب اللبدي، " معجم المصطلحات النحوية "، مطبعة أمزيان، الجزائر، د.ت ..
102. علي بن محمد الشريف الجرجاني، " التعريفات "، مكتبة لبنان، لبنان، 1985.
103. الحسين بن أحمد ابن خالويه، " الحجة في القراءات السبعة "، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط4 (1404هـ = 1984م).
104. إبراهيم أنيس، " من أسرار اللغة "، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3 (1966).
105. الجرجاني، " حاشية السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني على الكشاف " . د.ط ، د. ت.
106. أحمد بن فارس، " مقاييس اللغة "، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1979م.
107. أبو هلال العسكري، " الصناعتين "، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت .
108. أبو عمرو الداني، " التحديد في الإتيان والتجويد "، تحقيق ، د. غانم قدوري الحمد، بغداد ، ط1 (1407هـ = 1987م).
109. عبد الرزاق أحمد محمود الحربي، " الدراسات اللغوية و النحوية في كتب الوقف و الابتداء " ، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب- الجامعة المستنصرية، 1408هـ = 1987م، ص 21.
110. علي بن سليمان الحيدرة اليمني، " كشف المشكل في النحو "، تحقيق، د. هادي عطية مطر، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1984م.
111. أبو عمرو الداني ، " المكتفي في الوقف والابتداء "، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشي، مؤسسة الرسالة، ط2 (1987م).
112. أبي طاهر مجد الدين الفيروزآبادي ، " القاموس المحيط "، مؤسسة الحلبي وشركائه، القاهرة، [د. ت.]
113. د. رسول صالح أحمد الطبوسي ، " الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي "، 269.
114. أبو القاسم محمد النويري، " شرح الدرر المضيئة في القراءات الثلاث المرضية "، تحقيق: عبد الرافع رضوان، مطابع الجامعة الإسلامية، ط1 (1411هـ).